الدرس الأول

التوحيد

أول شيء دعا إليه الأنبياء أقوامهم هو أن يقولوا : (لا إله إلا الله) قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ الأنبياء: ٢٥ .

فماذا تعني عبارة : (لا إله إلا الله)؟

إنها تعني توحيد الله عز وجل في ربوبيته وإلوهيته وأسمائه وصفاته ، و في ما يلي شرح لهذه العبارات.

أولا : توحيد الربوبية :

وهو توحيد الله ـــ تعالى ـــ بأفعاله ، كالخلق والرزق والتدبير ، والإحياء والإماتة ، أي : الإيمان بأن الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ هو وحده الخالق الرازق ، المحيي المميت ، المدبر المتصرف ، النافع الضار، الذي بيده ملكوت كل شيء ، لا شريك له من خلقه في شيء من ذلك .

ومن نسب شيئا من أفعال الله ـــ تعالى ـــ إلى أحد من المخلوقين ، كالإحياء والإماتة، والخلق والرزق ، وإنزال الغيث ، وعلم الغيب ، والتحليل والتحريم ، فقد أشرك في الربوبية . قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ الحشر: ٢٤.

ثانيا : توحيد الإلوهية (توحيد العبادة) :

وهو توحيد الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ بأفعال العباد التي يتقربون بها إليه إذا كانت مما شرعه الله تعالى . فإذا عرف العبد أن الله ـــ سبحانه ـــ هو ربه وخالقه ، وأنه محتاج إليه ؛ فلا بد له من عبادته وحده لا شريك ، وإطاعة أمره ـــ تعالى ـــ وإطاعة أمر رسوله ﷺ وعدم صرف شيء من أنواع العبادة لغيره جل وعلا ، كالصلاة والزكاة ، والصيام والحج ، والجهاد والنذر ، والدعاء والذبح ، والخوف

والرجاء ، والتوكل والاستعانة والاستغاثة ، وهو التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، وهو معنى قول الله سبحانه و تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ الفاتحة: ٥.

و هذا التوحيد هو حق الله على العباد ، كما جاء في حديث معاذ بن جبل[١] رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار ، فقال لي : (يا معاذ ! أتدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟). قلت : الله ورسوله أعلم . قال : (حق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله : أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ...) [٢].

ومن تمام توحيد الإلوهية ، حبُّ الله وخشيتُه ، وهما روح العبادة . وحبُ الله معناه طاعتُهُ وإيثارُ مرضاته على شهواتِ النفس ، ووساوسِ الشيطان . وكذلك اتباعُ رسوله ﷺ في ما جاء به من ربه ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ آل عمران: ٣١ .

يقول ابن تيمية [٣] معرفا العبادة : " هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال ، الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة ، والصيام والحج ، وصدق الحديث، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان للجار واليتيم ، والمسكين وابن السبيل، والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله ، والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك ، من العبادة ، وذلك : أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له ، والمرضية له ، التي خلق الخلق لها ، قال الله

---

(١) ــ هو معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي ، من أعيان الصحابة وفقهائهم ، شهد بدرا وما بعدها ، توفي بالشام سنه ١٨هـ.

(٢) ــ رواه البخاري ومسلم .

(٣) ــ هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي ، أحد العلماء المجتهدين المجاهدين ، توفي سنة ٧٢٨هـ.

تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ وبها أرسل جميع الرسل " [1].

ثالثا : توحيد الأسماء والصفات:

وهو توحيد الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، والإيمان بأسماء الله ــ عز وجل ــ يعني : الإقرار بها ، والإيمان بما دلت عليه من الصفات ، وما ينشأ عنها من الأفعال ، كما جاءت في الكتاب والسنة ، لا شريك له في شيء منها ، ولا مثيل له ولا شبيه.

و مذهب السلف الصالح من هذه الأمة ، هو : إثبات ما أثبته الله لنفسه ، في كتابه وسنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات ، على الوجه اللائق به ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف، ولا تمثيل ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٠.

وأهل السنة يقرون أن لله ــ تعالى ــ صفات الكمال ، التي لا يتطرق إليها النقص بوجه من الوجوه ، كالحياة والعلم ، والسمع والبصر ، والعزة والحكمة، والعلو والعظمة ، والرحمة والقدرة، وغير ذلك من الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة .

وهم ينفون عن الله ــ تعالى ــ ما نفاه عن نفسه ، في كتابه الكريم أو على لسان رسوله ﷺ مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله تعالى ، كالنوم مثلا الذي نفاه الله عن نفسه، في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ البقرة: ٢٥٥ ، فإنهم ينفونه عنه ــ تعالى ــ ويثبتون كمال القيومية لله تعالى ، وكالظلم الذي نفاه عن نفسه في آيات كثيرة ، فإنهم ينفونه عنه ، ويثبتون له ــ تعالى ــ العدل التام ، ويرون أن صفات النقص التي لا كمال فيها ممتنعة على الله ــ عز وجل ــ كالموت والجهل ، والنسيان والعجز والعمى.

أما الصفات التي لم يأت نفيها أو إثباتها في الكتاب ولا في السنة ، كالجهة والجسم ، فإنهم يتوقفون في لفظها ، فلا يثبتونه ولا ينفونه ، لأنه لم يرد نفيه ولا إثباته عن معصوم، بل هو قول على الله

---

(١) ــ العبودية ص ٤ .

بغير علم ، وهو يقول : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦ ، أما المعنى فإنهم يسألون عنه ، فإن كان يراد به باطل ينـــزه الله عنه ، فإنهم لا يقبلونه بل يردونه، كمن يقول : أعني بالجهة أنه حالٌّ في شيء من خلقه تعالى الله عن ذلك . وإن كان معنى المسكوت عنه من الحق الذي يجب اعتقاده لله ـــ تعالى ـــ قبلوا المعنى وتوقفوا في اللفظ ، كمن يقول : أعني بالجهة علو الله سبحانه وتعالى على خلقه ، فإنهم يقولون المعنى صواب [1] ، ولكنهم لا يقبلون اللفظ ، لأنه لم يرد عن معصوم . وذلك لأن صفات الله تعالى وأسماؤه توقيفية ، لا بد فيها من النص من كتاب الله أوسنة رسوله ﷺ.

(١) ـــ أي : علو الله ـــ تعالى ـــ على خلقه .

الدرس الثاني

نواقض التوحيد

قد علمنا من قبل أن مقتضى الشهادتين ؛ توحيد الله تعالى في ربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيده في ألوهيته ، وعدم صرف أي نوع من العبادة لغيره ، و هذا هو معنى لا إله إلا الله ، ومعنى محمد رسول الله ، هو الإقرار والتصديق بكل ما جاء به محمد رسول الله ﷺ من الشرائع وما أخبر به ، والاعتراف له بجميع أخلاق النبوة وصفاتها ، فكل مكذب بشيء من ذلك خارج عن الإسلام ، ولا يدخل في الإسلام إلا من نطق بالشهادتين وعمل بمقتضاهما .

وأما أسباب الخروج من الإسلام بعد الدخول فيه ؛ فلها قاعدة جامعة اتفق عليها أهل السنة ، وهي : نسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ، ماداموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين ، وله بكل ما قاله وأخبر به مصدقين ، ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ، ما لم يستحله ، لأن من استحل الحرام قد كذب الله ورسوله ، أما من ارتكب ذنبا دون أن يكون مستحلا له فحكمه أن يكون عاصيا وفاسقا بقدر الذنب الذي ارتكبه ، مستحقا ما يترتب على معصيته من حد في الدنيا ، أو عقوبة في الآخرة .

والانحراف عن شرع الله تعالى إلى غيره ، واعتقاد ما ينافي تعاليم دينه القويم ، كله أو بعضه ، هو خروج من الدين ، وناقض من نواقض الإسلام ، ونواقض الإسلام كثيرة، وقد يقع فيها بعض المسلمين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وفي ما يلي شرح لهذه النواقض :

أولا ــ الشرك الأكبر :

وهو الذي يجعل مع الله ربا آخر ،كقول النصارى إن الله ثالث ثلاثة ، وكعبادة المجوس النار ، وكالذين يعبدون القبور ، ويقولون إن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت ، فيقضون الحاجات ويفرجون الكربات ، وينصرون من دعاهم .

ومن الشرك الأكبر أن يجعل العبد مع الله إلها آخر : ملكا أو رسولا أو وليا يعبد كما يعبد الله ، وذلك بدعائه والاستعانة به ، والذبح له والنذر له ، أو يقدم أمره ونهيه على أمر الله ــ تعالى ــ ونهيه ، قال الله تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت

وأنا أول المسلمين ﴾ [1].

ومن هذا الشرك من جعل بينه وبين الله ــ تعالى ــ وسائط يدعوهم من دون الله ، ويستغيث بهم ، فلا واسطة بين الخالق والمخلوق إلا في تبليغ الرسالة ، وهذه مهمة الأنبياء ــ عليهم السلام ــ أما ما سوى ذلك فلا حاجة لواسطة فيه بين العبد وخالقه ، وكيف يحتاج إلى واسطة والله ــ تعالى ــ يقول : ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ [2]، ويقول : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ [3]، ويقول جل ذكره : ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير* إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾ [4] . ولا يشترط أن يساوي في شركه مع الله غيره من كل وجه حتى يصبح شركا أكبر ، بل يسمى مشركا في الشرع بإثباته شريكا لله تعالى ، ولو جعله دونه في القدرة والعلم مثلا.

ثانيا ــ الاعتقاد باكتمال هدي آخر غير الإسلام وقبول حكم غيره :

لا يجوز لمسلم أن يعتقد أن هناك هديا آخر غير هدي النبي ﷺ يساوي في الحسن والفضل والكمال ما جاء به النبي ﷺ فضلا عن أن يكون أحسن منه ، فإن ذلك كله شرك ينافي التوحيد ، سواء كان هذا الشيء عرفا قبليا أم قانونا دوليا ، أو كان قول شيخ ، أو فتوى إمام بغير سند من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وقد سمى الله ــ تعالى ــ ذلك كله حكم الجاهلية ، فقال جل ذكره : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ [5] ، ومن صور هذا الشرك :

١ــ الاعتقاد بأن القوانين الوضعية أفضل من شريعة الإسلام ، أوهي مساوية لها ، أو أنها تحقق بعض المصالح الشرعية التي لا حل لها في شريعة الإسلام .

---

(١) ــ سورة الأنعام ١٦٢ ــ ١٦٣ .

(٢) ــ سورة ق ١٦ .

(٣) ــ سورة البقرة ١٨٦ .

(٤) ــ سورة فاطر ١٣ــ ١٤ .

(٥) ــ سورة المائدة ٥٠ .

٢ــ القول بأن الإسلام دين محصور في علاقة الإنسان بربه ، ولا دخل له في حياة الناس .

٣ــ القول بأن دين الإسلام هو سبب تخلف المسلمين ، وأنه دين لا يناسب العصر.

٤ــ الزعم بأن الحدود الشرعية منافية للإنسانية ، و القول بأنها بشاعة لا تناسب القرن العشرين.

٥ــ اعتقاد أنه يجوز التحاكم لغير شريعة الله في المعاملات والحدود والقضاء والسياسة ، ولو لم يقل إن ذلك أفضل من حكم الشريعة ، لأن ذلك استحلال للحرام في ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وهذا كفر بإجماع المسلمين ، قال الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ﴾ (١).

فلا يصح التحاكم إلا لشريعة الإسلام ، ويجب تحكيمها في كل شأن من شئون حياة المسلم ، بينه وبين نفسه اعتقادا وعملا ، أو في بيته بينه وبين أهله ، أو في مجتمعه حكما وقضاء وتعاملا ، ولا يكون المسلم مسلما حتى يؤمن بذلك دون أي حرج أو غضاضة يجدها في نفسه ، فالله ــ سبحانه وتعالى ــ يقول : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ (٢) .

ثالثا ــ من أبغض شيئا مما جاء به النبي ﷺ ولو عمل به ظاهرا :

وهذا هو النفاق الاعتقادي ، فكيف يكون مسلما وهو يكره دين الإسلام ؟! حتى ولو كان يفعل ذلك الشيء الذي كرهه ، كالذي يحب تحليل الحرام أو تحريم الحلال ، ويتمنى في نفسه لو كان يقدر على مخالفته ، كرها له واحتقارا وعدم قناعة ، ولكنه مضطر لفعل ذلك خوفا من الناس أو نفاقا لهم ، وكالذي يحارب انتشار الإسلام والدعوة إليه بحجة أن ذلك رجعية وتزمت وتطرف ، وعودة إلى العصور الوسطى ــ عصور الظلام بزعمهم ــ فهو يكره حكم الله ، ويكره تحكيم شرع الله في الأمة ، ويستورد الأفكار الملحدة ، وينشرها في بلاد المسلمين ، ويتمنى لها الانتشار ، ويتقطع قلبه حسرة إذا سمع

---

(١) ــ سورة النساء ٦٠ .

(٢) ــ سورة النساء ٦٥ .

بعودة الأمة لدين ربها، قال الله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾ (١).

ومن ذلك الاستهزاء بشيء من دين الله ، فاتخاذ شرائع الله مجالا للهو واللعب والهزء والسخرية مخرج من ملة الإسلام ، حتى ولو كان الفاعل يريد بذلك اللعب والمزاح وإضحاك الناس ، قال الله تعالى : ﴿ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون * ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أ بالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ (٢).

ومن ذلك أيضا الإعراض عن دين الله تعالى ، لا يتعلمه ولا يعمل به ، وإن تعلمه فإنما يريد به الحياة الدنيا ، قال الله تعالى : ﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾(٣). وقال جل ذكره : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ (٤) . وقال في حق المعرض عن دينه : ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون ﴾ (٥) .

رابعا ــ عدم تكفير الكفار ومحبتهم والرضا بما هم عليه وتصديقهم :

من لم يكفر الكفار ، أو شك في كفرهم ، أو صحح ما هم عليه من الاعتقادات الباطلة ؛ فقد كفر ، كذلك من أحبهم وأثنى عليهم ، وسعد بصداقتهم ، كل ذلك قادح في كمال التوحيد ، و لا يجوز للمسلم أن يعتقد جواز شيء من ذلك ، بل يجب على المسلم مباغضة الكفار والبراءة منهم واجتنابهم ، قال الله تعالى: ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا

---

(١) ــ سورة محمد ٩ .

(٢) ــ سورة المائدة ٦٤ــ ٦٦ .

(٣) ــ سورة يونس ٧ــ٨ .

(٤) ــ سورة هود ١٥ ــ ١٦ .

(٥) ــ سورة السجدة ٢٢ .

وإليك المصير﴾ [1].

ومن ذلك موالاة الكفار ومظاهرتهم ، ومعاونتهم على المسلمين ، قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [2].

فالمشركون الذين يعبدون غير الله تعالى ، وأهل الكتاب الذين كفروا بنبوة محمد ﷺ سواء في الكفر ، حتى ولو كانوا على دين أصله سماوي ، فالله لا يقبله منهم بعد نبوة محمد ﷺ قال الله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [3] .

ومن هنا نعلم خطأ المصطلح الذي شاع على ألسنة الناس في هذا العصر وهو مصطلح (الأديان السماوية) ، فالله تعالى ليس عنده إلا دين واحد ، هو دين الإسلام ، قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾ [4] .

وقد صرح القرآن الكريم بكفر اليهود والنصارى ، فلا مجال للقول بأنهم مؤمنون بكتاب آخر ورسالة نبي آخر والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ [5].

خامسا ــ الاعتقاد في أن أحدا يمكنه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كخروج الخضر عن شريعة موسى عليهما السلام :

من اعتقد أن أحدا من الناس بعد مبعث رسول الله ﷺ يجوز له أن يخرج عن شريعته ، بعضها أو كلها ، أو أنه قد رفعت عنه التكاليف ، وأنه ليس مطالبا بصلاة ولا صيام ولا حج ولا زكاة ، أو أنه

---

(١) ــ سورة الممتحنة ٤ .

(٢) ــ سورة المائدة ٥١ .

(٣) ــ سورة آل عمران ٨٥ .

(٤) ــ سورة آل عمران ١٩ .

(٥) ــ سورة المائدة ٧٨ .

يحل له الحرام ، كما يزعم ذلك بعض مشائخ الطرق وبعض المتصوفة ، فمن زعم ذلك فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ .

ولا حجة لأحد في خروج الخضر عن شريعة موسى ـــ عليهما السلام ـــ وذلك لأن محمدا ﷺ قد أرسل للناس كافة ، أما موسى ـــ عليه السلام ـــ فقد كان رسولا لبني إسرائيل ، والخضر نبي آخر له شريعة غير شريعة موسى ، ولذلك حينما فعل الأمور التي أنكرها عليه موسى قال : (وما فعلته عن أمري) ، قال الله تعالى : ﴿ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك **وما فعلته عن أمري** ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا ﴾ (١) ، مما يدل على أن عمله إنما كان اتباعا لوحي من الله أوحي إليه .

أما رسول الله ﷺ فقد بعث للناس كافة فلا يحل لأحد الخروج على شريعته ﷺ لأنه لا نبي معه ولا نبي بعده ، ورسالته آخر الرسالات ، أكمل الله به الدين ، وأتم به النعمة ، وانقطع الوحي من السماء بوفاته ، فلا ناسخ من بعده لحكم جاء به ولا يقبل الله ـــ تعالى ـــ دينا غير الدين الذي جاء به ، قال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (٢).

سادسا ـــ ممارسة السحر وإتيان السحرة والكهان والعرافين والمنجمين وتصديقهم :

من مارس السحر ، أو اعتقد أن الساحر يضر وينفع إلا بإذن الله فقد كفر، وذلك لأن الساحر لا يكون ساحرا حتى يستعين بالشياطين ، يعبدهم ويدعوهم من دون الله تعالى ، وهو لا يضر أحدا إلا من أذن الله أن يضره ، قال الله تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق﴾ (٣).

---

(١) ـــ سورة الكهف ٨٢ .

(٢) ـــ سورة آل عمران ٨٥ .

(٣) ـــ سورة البقرة ١٠٢ .

وقال رسول الله ﷺ : (من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشـــرك) [1] ، وقال ﷺ: (من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر) [2] ، وقال أيضا :(من أتى كاهنـــا أو عرافا فسأله عن شيء فصدقه بما يقول فقد كفر) [3].

ومن ذلك تعليق التمائم على الإنسان أو ولده أو ماله بدعوى أنها تنفعه وتدفع عنه الضر والعين والحسد ، فعن عقبة بن عامر [4] رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط ، فبـــايع تســـعة ، وأمسك عن واحد . فقالوا : يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا ؟ قال : (إن عليـــه تميمـــة) . فأدخل يده فقطعها ، فبايعه ، وقال : (من تعلق تميمة فقد أشرك) [5] .

---

(١) ـــ رواه النسائي .

(٢) ـــ رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة .

(٣) ـــ رواه مسلم .

(٤) ـــ انظر ترجمته في التقريب ص ٣٩٥ رقم (٤٦٤١).

(٥) ـــ رواه أحمد .

الدرس الثالث

البدعة

تحريم البدعة :

من كمال العبودية لله ألا يعبد إلا بما شرع ، فالله هو المشرع ، والرسول ﷺ هو المبلغ ، ونحن المتبعون ، وفي الاتباع الخير كل الخير، قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [1] ، فلا يجوز لنا أن نتقرب إلى الله ـــ تعالى ـــ بشيء لم يشرعه لنا ، ولا يجوز لنا زيادة شيء في عباداتنا لم يأت به الدليل من الكتاب والسنة ، أو أن نغير في كيفيتها عما كانت عليه أيام الرسول ﷺ قال الله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [2]، فكل زيادة بعد تمام الدين استدراك عليه واتهام له بالنقص والقصور.

يقول ابن تيمية رحمه الله [3] : "جماع الدين أصلان : ألا نعبد إلا الله ، ولا نعبده إلا بما شرع ، لا نعبده بالبدع ، كما قال تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [4]، وذلك تحقيق الشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدا رسول الله.

ففي الأولى : أن لا نعبد إلا إياه . وفي الثانية : أن محمدا هو رسوله المبلغ عنه ، فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره. وقد بين ﷺ لنا ما نعبد الله به ونهانا عن محدثات الأمور ، وأخبرنا أنها ضلالة . قال تعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [5]. وكما أننا مأمورون ألا نخاف إلا الله ، ولا نتوكل إلا على الله ، ولا نرغب إلا إلى الله ولا نستعين إلا بالله ، وألا تكون عبادتنا إلا لله ، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه ، ونتأسى به ، فالحلال ما حلله ، والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه ، قال الله تعالى : ﴿ ولو

---

(١) ـــ سورة آل عمران ٣١.

(٢) ـــ سورة المائدة ٣ .

(٣) ـــ العبودية : ٨٢ ـــ ٨٣ .

(٤) ـــ سورة الكهف ١١٠.

(٥) ـــ سورة البقرة ١١٢.

أنهم رضوا مـــا آتاهم الله ورسوله وقـــالوا حسبنا الله سيؤتينا الله مـــن فضله ورســـــوله إنـــا إلى الله راغبون ﴾[1] ... " ا.هـــ .

ومن هنا نعلم أن البدعة هي : كـــل حدث في الدين لم يأذن به الله ، ولذلك قـــال الرســـول ﷺ : (إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة)[2]، وقال : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[3] .

وهناك قاعدة اتفق عليها أهل السنة ، وهي : أن الأصل في العبادات المنع ، والأصل في الأمـــور الدنيوية الجواز ، فمن زعم أن عملا ما عبادة يتقرب بها إلى الله ـــ تعالى ـــ فعليه أن يأتي بالدليل ممن له حق الأمر والنهي ، ومن حرم أمرا من أمور الدنيا وجب عليه أن يستدل عليه بدليل من الكتاب أو السنة ، وإلا رد عليه لأن الأصل في الأمور الدنيوية الجواز ، والأصل في العبادات المنع ، ومن نقل عن الأصل فعليه الدليل .

وإنما كان انحراف الديانات السابقة عما كانت عليه أيام أنبيائها ؛ نتيجةً لما ابتدعه الكهنة فيها من بدع جرفتها عن أصلها ، ومن هنا نعرف الحكمة من أن الإسلام أنكر فكرة الكهنوت واحتكـــار الأسرار الدينية في فئة من الناس ، فالإسلام لا يعرف الكهنة ومن يسمون برجال الدين ، بل فيه علماء لا يدعون احتكار معرفة الدين بهم وحدهم .

ولأن الابتداع افتراء على الله عز وجل ، و افتراء على رسوله صلى الله عليه وسلم فقد حرمـــه الله أشد التحريم ، وأغلق بابه لأنه يؤدي بالناس إلى الشرك والضلال والابتعاد عن شريعة الله وتحكـــيم الأهواء . وقد جاءت النصوص الصحيحة عن الرسول ﷺ والروايات عن الصحابة والتابعين وســـلف الأمة بإنكار ما وقع فيه بعض المسلمين بحسن نية من أمور تفتح باب البدعة ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١ـــ لقد رأى النبي ﷺ رجلا قائما في الشمس ، فسأل عنه ، فقيل : إنه نـــذر أن يقـــوم ولا

---

(١) ـــ سورة التوبة ٥٩ .

(٢) ـــ رواه مسلم .

(٣) ـــ رواه مسلم .

يقعد ولا يستظل ، وأن يصوم ، فأمره النبي ﷺ أن يقعد ويستظل وأن يتم صومه ، فلم يجعل قيامه وبروزه في الشمس قربة يوفى بنذرها [1].

٢ــ سمع عبد الله بن عمر [2] ــ رضي الله عنهما ــ رجلا عطس فقال : الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، فقال له : " ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ بل قال :(إذا عطس أحدكم فليحمد الله) ، و لم يقل وليصل على رسول الله " [3].

٣ــ قال الزبير بن بكار[4] : سمعت مالك بن أنس ــ رحمه الله ــ وقد أتاه رجل فقال : يا أبا عبد الله من أين أحرم ؟ قال : من ذي الحليفة [5] من حيث أحرم رسول الله ﷺ فقال : إني أريد أن أحرم من المسجد ، فقال : لا تفعل . فقال : فإني أريد أن أحرم من المسجد ، من عند القبر ، قال : لا تفعل ، إني أخشى عليك الفتنة ، فقال : وأي فتنة في هذه ؟ إنما هي أميال أزيدها ، فقال له : وأي فتنة أعظم من أنك ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ إني سمعت الله ــ تعالى ــ يقول :﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [6].

خطورة البدعة:

حرم الإسلام الابتداع في الدين ؛ لأن المبتدع كمن يزعم أن الدين ناقص والله ــ سبحانه و تعالى ــ يقول : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [7] فالمبتدع نصب نفسه مضاهيا للشارع الحكيم ، لأن الله ــ تعالى ــ وضع الشرائع ، وألزم الناس العمل بها ، لأنه هو الحكم بين عباده فيما هم فيه يختلفون ، و لم يجعل له منهم شريكا في شيء من ذلك. ولو

---

(١) ــ رواه أحمد والبخاري وأبو داود.

(٢) ــ هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ، زاهد الصحابة وعابدهم ، أحد المكثرين من رواية الحديث ، كان من أشد الناس اتباعا للأثر ، توفي سنة ٧٣هـ .

(٣) ــ أخرجه الترمذي والحاكم .

(٤) ــ هو الزبير بن بكار الأسدي ، كان قاضيا للمدينة ، وكان أحد الثقات من رواة الحديث .

(٥) ــ هو ميقات أهل المدينة .

(٦) ــ سورة النور ٦٣ .

(٧) ــ سورة المائدة ٣ .

كان التشريع من الأمور التي يستطيع البشر أن يقوموا بها بحق وعدل دون أن يجوروا ويظلموا ، لم تتنزل الشرائع ، و لم يبعث الله الرسل ، وهذا الذي ابتدع في الدين ما ليس منه ، صير نفسه ندا لله ـــ تعالى ـــ ومن هنا نفهم معنى قول الشافعي[١] رحمة الله : " من استحسن فقد شرع " [٢].

والمبتدع كمن يزعم أن الرسول ﷺ ترك شيئا من الدين لم يبلغنا به وهو ﷺ الذي يقول : (ما تركت شيئا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به) [٣] ، ولذلك قال الإمام مالك ـــ رحمة الله : " من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة لأن الله يقول : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [٤] ، فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا " [٥] .

والمبتدع لا يحظى بشفاعة النبي ﷺ ولا يرد عليه الحوض ، قال ﷺ : (أنا فرطكم على الحوض ، ليرفعن رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم انتزعوا دوني ، فأقول : أي رب أصحابي، فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك) [٦] . والمبتدع عليه إثم بدعته ، وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة ، وهذا رسول الله ﷺ يقول : (ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) [٧] .

والبدعة تميت السنة ، وإماتة السنة تجر الهلاك والدمار على الناس ، قال عبد الله بن مسعود[٨] رضي الله عنه : (ولو تركتم سنة نبيكم لهلكتم) [٩] . وقال حسان بن عطية [١] رحمه الله : " ما ابتدع

---

(١) ـــ هو محمد بن إدريس الشافعي ، أحد الأئمة الأعلام ، من كبار الحفاظ ، توفي سنة ٢٠٤هـ.

(٢) ـــ انظر علم أصول البدع ص ١٧٧.

(٣) ـــ رواه ابن خزيمة .

(٤) ـــ سورة المائدة ٣ .

(٥) ـــ انظر الاعتصام للشاطبي : ٤٩/١ .

(٦) ـــ رواه البخاري.

(٧) ـــ رواه مسلم.

(٨) ـــ هو الصحابي الجليل عبد اله بن مسعود الهذلي ، من السابقين الأولين إلى الإسلام ، من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ، ومن ومن المكثرين من رواية الحديث ، توفي سنة ٣٢هـ.

(٩) ـــ رواه مسلم .

ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها.." [٢] .

ملحوظات:

١ــ تكون البدعة بالتعبد بشيء لم ترد النصوص الشرعية بجعله قربى لله تعالى ، وقد تكون بترك شيء مما أحــل الله ، تقربا إلى الله ،كالذي يترك الزواج تنسكا وتعبدا وزهدا ، أو يترك أكل اللحــم زهدا .

٢ــ ليس من البدعة ما أحدثه الناس من أمور الدنيا ، كالسيارات والطائرات وما شابه ذلك ، بل البدعة ما اخترع في الدين يراد به التقرب لله تعالى في أمور العبادات.

٣ــ ليس في البدعة بدعة حسنة ، بل كل بدعة ضلالة ،كما قال رســول الله ﷺ : (إيــاكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) [٣] . وهذا الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطــاب ــ رضي الله عنهما ــ يقول : " كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة " [٤].

٤ــ لا ينبغي التهاون في شأن البدع مهما كانت صغيرة ، ومهما حسنت نية مبتدعها، فحسن النية وحده لا يجعل العمل مقبولا عند الله ، بل لابد من توفر شرطين في العمل حتى يكون مقبولا عنــد الله ــ تعالى ــ وهما أن يكون العمــل خالصا ، و أن يكون صوابا ، ويكون خالصا إذا كان لوجهه الله ، ويكون صوابا إذا كان موافقا سنةَ رسول الله ﷺ قال الله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقــاء ربــه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [٥] ، وبذلك نعلم أن النية الصالحة وحدها لا تكفــى لتصحيح العمل ، بل لابد أن ينضم إليها التقيد بالشرع .

---

(١) ــ هو حسان بن عطية المحاربي ، من عباد التابعين ، وأحد الثقات الفقهاء .

(٢) ــ انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (١٢٩) ، والدارمي رقم (٩٨) .

(٣) ــ رواه الترمذي .

(٤) ــ انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (١٢٦) .

(٥) ــ سورة الكهف ١١٠.

الدرس الرابع

الإيمان بالملائكة

وجود الملائكة:

هناك آيات وأحاديث كثيرة تخبر عن وجود الملائكة ، ومن هنا كان إنكار وجودهم كفرا مخرجا من ملة الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ [١] . وقال جل ذكره : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ [٢] ، وقال : ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ [٣] . و قال ﷺ عندما سأله جبريل عن الإيمان : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) [٤] .

خَلْق الملائكة:

عن عائشة [٥] ــ رضي الله عنها ــ أن رسول الله ﷺ قال : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم) [٦] . و نحن لا نعلم متى خلقوا ، فالله ــ تعالى ــ لم يخبرنا بذلك ، ولكننا نعلم أنهم سبقوا خلق آدم ــ عليه السلام ــ وسجدوا له ، وليس لنا التعمق في البحث عن شيء من أوصاف الملائكة أو خلقهم لم يخبرنا الله ــ تعالى ــ به ، بل حسبنا الوقوف عند ما نقل إلينا ، و الإيمان به وتصديقه .

صفات الملائكة:

---

(١) ــ سورة النساء ١٣٦ .

(٢) ــ سورة البقرة ٢٨٥ .

(٣) ــ سورة النحل ٢ .

(٤) ــ متفق عليه .

(٥) ــ هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، أبوها أحب الرجال إلى رسول الله ﷺ وهي أحب نسائه إليه ، ، روت عن رسول الله ﷺ كثيرا من الأحاديث ، توفيت سنة ٥٧ هـ .

(٦) ــ رواه مسلم .

الملائكة يتصفون بالآتي :

١ــ العبودية لله ــ عــز وجل ــ فليسوا أولادا له ولا أندادا له . بل هــم كما قــال الله تعــالى : ﴿ وقــالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بــل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهــم بــأمره يعملون﴾ (١) .

٢ــ الطاعة التامة لله ــ عز وجل ــ فهم يتقيدون بأوامر الله لهم ، فلا يعصونه في أمر، وهــم ملازمون لعبادته ، قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نــارا وقودهــا النــاس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ (٢) .

٣ــ و الملائكة لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، قال الله تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر الســماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ﴾ (٣) .

٤ــ الملائكة لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة ، وقد نعى القرآن على العرب تسميتهم الملائكة بنات الله ، قال الله تعالى :﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشــهدوا خلقهــم ســتكتب شهادتهم ويسألون ﴾ (٤) .

٥ــ الملائكة لا يحتاجون إلى طعام أو شراب ، ولا يملــون ولا يفترون من العبادة ، قــال الله تعالى : ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ (٥).

٦ــ منحهم الله القدرة على التشكل ، وقد رأى النبي ﷺ جبريل على أكثر من صورة ، فــرآه مرتين على صورته التي خلقة الله عليها ، مرة في الغار في أيام الوحي الأولى، والمرة الثانية عنــد ســدرة المنتهى ، حين عرج به إلى السماء ، قال الله تعالى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ﴾ (٦) ،

---

(١) ــ سورة الأنبياء ٢٦ ــ٢٧ .

(٢) ــ سورة التحريم ٦ .

(٣) ــ سورة فاطر ١ .

(٤) ــ سورة الزخرف ١٩ .

(٥) ــ الأنبياء ٢٠ .

(٦) ــ سورة النجم ١٣ــ ١٤ .

وكان يأتي إليه أحيانا في صورة دحية الكلبي [1] ، وجاء إليه مرة في صورة رجل غريب ، شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، حينما سأله في الحديث المشهور عن الإيمان والإسلام والإحسان .

منازلهم :

مساكن الملائكة السماء ، وينزلون إلى الأرض بأمر الله ، ويكثر نزولهم في مناسبات خاصة كليلة القدر ويوم عرفة ، قال الله تعالى : ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر *تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم ﴾ [2].

عددهم :

وهم خلق كثير لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل ، قال الله تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ [3] . و قد جاء في البخاري ومسلم أن البيت المعمور في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه . وفي الحديث قال رسول الله ﷺ : (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك) [4] .

أسماؤهم:

وللملائكة أسماء ، و لا نعرف إلا من ذكر منهم في القرآن والحديث [5] ، وهم : جبريل – ميكائيل – إسرافيل – مالك – رضوان – منكر و نكير – هاروت وماروت.

وظائف الملائكة:

أوكل الله سبحانه وتعالى بعض الوظائف للملائكة عليهم السلام ، وليس لنا أن نزعم لملك وظيفة لم يأت بها دليل صحيح ، وقد أخبرنا القرآن عن بعض هذه الوظائف، فمنها :

---

(١) ــ انظر ترجمته في التقريب ص ٢٠٠ رقم (١٨٢١).

(٢) ــ القدر ٣ــ ٤ .

(٣) ــ سورة المدثر ٣١ .

(٤) ــ رواه مسلم .

(٥) ــ لا يصح أن نسمي أحدا من الملائكة باسم لم يرد به دليل صحيح من الكتاب والسنة ، كما شاع عند بعض العوام من تسميتهم ملك الموت بـ (عزرائيل) ، وهذا مما لا دليل عليه .

١ــ إبلاغ كلام الله تعالى إلى العباد . قال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ [١] وقال : ﴿ يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ﴾ [٢] .

٢ــ حمل العرش : قال الله تعالى : ﴿ والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ [٣].

٣ــ رعاية الجنة وأهلها : قال تعالى : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾[٤] .

٤ــ القيام بشؤون النار وأهلها : قال الله تعالى : ﴿ وما أدراك ما سقر * لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر * عليها تسعة عشر ﴾[٥] .

٥ــ مراقبة أعمال المكلفين وتصرفاتهم ، وإحصاؤها في كتاب مبين ، فملك عن يمين الإنسان يحصي حسناته ، وآخر عن شماله يحصي سيئاته ، وهما الرقيب والعتيد ، قال تعالى : ﴿ إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾[٦].

٦ــ المحافظة على الإنسان في مختلف شؤونه كلها (المعقبة والحفظة) ، قال الله تعالى : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ [٧]، وقال : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ﴾ [٨] .

٧ــ قبض الروح . قال تعالى : ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم

---

(١) ــ الشعراء ١٩٣ ــ ١٩٤ .

(٢) ــ سورة فاطر ١٥ .

(٣) ــ سورة الحاقة ١٧ .

(٤) ــ سورة الزمر ٣٧ .

(٥) ــ سورة المدثر ٧٢-٣٠ .

(٦) ــ سورة ق ١٧ــ ١٨

(٧) ــ سورة الرعد ١١ ، أي : يحفظونه بأمر الله .

(٨) ــ سورة الأنعام ٦١ .

ترجعون ﴾ [1].

مقتضى الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة يعني : الإيمان بوجودهم ، والإيمان بما علمنا الله ـــ تعالى ـــ من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم ، كما يقتضي محبتهم ـــ عليهم السلام ـــ لقول الله تعالى : ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين* من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾ [2].

(١) ـــ سورة السجدة ١١ .

(٢) ـــ سورة البقرة ٩٧ ـــ ٩٨ .

الدرس الخامس

الإيمان بالكتب السماوية

هي الكتب التي أنزلها الله تعالى على الأنبياء والمرسلين ؛ قال تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [1].و الكتب التي ذكرت في القرآن الكريم هي :

١ــ صحف إبراهيم عليه السلام .

٢ــ التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام .

٣ــ الزبور الذي أنزل على داود عليه السلام .

٤ــ الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام .

موقف المسلم من هذه الكتب:

يؤمن المسلم بهذه الكتب وبغيرها من الكتب السابقة المدونة كما أنزلها الله ويصدق أن الله أنزلها على رسله ، وأن منها ما قصه الله علينا ، ومنها ما لم يقصصه علينا ، ويصدق بما صح من أخبارها ، وذلك إذا شهد له القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، والكتب السابقة دخلها التحريف ، ومنها ما لا نعرف عنه إلا اسمه ، كالكتب التي في أيدي الناس اليوم ، وتحمل أسماء توافق أسماء الكتب المنزلة ، كالتوراة التي عند اليهود ، والإنجيل الذي بأيدي النصارى .

وذلك لأن الله ــ سبحانه وتعالى ــ لم يتعهد بحفظها كما حفظ القرآن ، بل أوكل حفظها للأحبار من أمة النبي الذي أنزلت عليه ، ولكنهم لم يقوموا بالأمانة التي أوكلها الله لهم لحكمة يريدها الله ، قال تعالى : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي

---

(١) ــ سورة البقرة ٢١٣ .

ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [1] .

ويؤمن المسلم أن الله هدانا بالقرآن الذي اشتمل على ما فيها من هدى ، لأن الإيمان بها تصديق للقرآن الذي أخبر بها ، وقد صانه الله من كل تحريف وجعل حفظه موكول به سبحانه ، فقال جل وعلا : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [2]. و القرآن هو الحاكم عليها الذي يميز صحيحها من الذي حرف منها وإليك تفصيل ذلك :

١ــ صحف إبراهيم : أخبرنا الله أن مما جاء في صحف إبراهيم ، وفي صحف موسى ، قوله تعالى : ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن إلى ربك المنتهى ﴾ [3] إلى آخر الآيات ، وأيضا قوله تعالى : ﴿ قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى * إن هذا لفي الصحف الأولى* صحف إبراهيم وموسى ﴾ [4] .

٢ــ التوراة : وهي من عند الله تعالى وفيها هدى للناس وحكم الله سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾ [5] ، و مما أخبرنا به من أحكام التوراة قال تعالى :﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ [6] .

وأخبرنا الله ــ تعالى ــ أن فيها بشارة بمحمد ﷺ وأن من صفاته أنه أمي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويحل لأمته الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه

---

(١) ــ سورة المائدة ٤٤ .

(٢) ــ سورة الحجر ٩ .

(٣) ــ سورة النجم ٣٨ - ٣٩ .

(٤) ــ سورة الأعلى ١٤ - ١٩ .

(٥) ــ سورة المائدة ٤٣ .

(٦) ــ المائدة ٤٥ .

ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ [1] ، و فيها وصف لمحمد ﷺ والمؤمنين به وذلك في قوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة...﴾ [2].

٣ــ الزبور : قال تعالى : ﴿ وآتينا داود زبورا ﴾ [3] ، و قد ورد في القرآن الكريم أن مما جاء في الزبور أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون ، في قوله تعالى : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ [4] .

٤ــ الإنجيل : أخبرنا الله تعالى أن الإنجيل أنزل على عيسى ابن مريم ــ عليه السلام ــ مصدقا لما سبقه من التوراة ، وفيه هدى وموعظة ، قال تعالى : ﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ﴾ [5] ، والإنجيل المنزل يشتمل على أحكام تشريعية ، قال تعالى : ﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾[6].

وفي الإنجيل تحليل لبعض ما حرم من الطيبات على بني إسرائيل في شريعة التوراة بسبب كفرهم وعنادهم ، قال الله تعالى : ﴿ ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ﴾ [7] .

وفيه كالتوراة بشارة بمحمد ﷺ قال الله تعالى : ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم

---

(١) ــ سورة الأعراف ١٥٧ .

(٢) ــ سورة الفتح ٢٩ .

(٣) ــ سورة النساء ١٦٣ .

(٤) ــ سورة الأنبياء ١٠٥ .

(٥) ــ سورة المائدة ٤٦ .

(٦) ــ سورة المائدة ٤٧ .

(٧) ــ سورة آل عمران ٥٠ .

بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾[1] و فيه أيضا وصف للمؤمنين بمحمد ﷺ قال الله تعالى : ﴿ ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [2].

(١) ــ سورة الصف ٦ .

(٢) ــ سورة الفتح ٢٩ .

الدرس السادس

الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل والأنبياء أصل من أصول الإيمان ، ومن لم يؤمن بالرسل فقد خرج من الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ (١) .

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأسماء خمسة وعشرين نبيا في القرآن ، هم : آدم ، نوح ، إدريس ، صالح ، إبراهيم ، هود ، لوط ، يونس ، إسماعيل ، إسحاق ، يعقوب ، يوسف، أيوب ، شعيب ، موسى ، هارون ، اليسع ، ذو الكفل ، داود ، زكريا ، سليمان ، إلياس ، يحيى ، عيسى و محمد عليهم الصلاة والسلام . و لم يخبرنا بأسماء الباقين ، قال تعالى : ﴿ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ﴾ (٢) ، وهناك نبيان عرفناهما من السنة وهما : شيت ويوشع بن نون عليهما السلام .

و أول الأنبياء آدم ــ عليه السلام ــ وآخرهم محمد ﷺ وأول الرسل نوح ــ عليه السلام ــ وآخرهم محمد ﷺ ، وكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا، والرسول أفضل من النبي .

و الرسول هو: من أوحي إليه شرع وأمر بتبليغه ، والنبي هو : من جاء ليحكم بشرع رسول قبله ، كأنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا ليحكموا بشريعة موسى عليه السلام. وقد كان كل نبي يرسل إلى قومه ، وأرسل محمد ﷺ للناس كافة . وأفضل الرسل هم أولو العزم ، وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى و محمد عليهم الصلاة والسلام .و الكفر برسول واحد كفر بجميع الرسل ، قال تعالى :﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ﴾ (٣).

و لا تثبت النبوة لأحد إلا بدليل صحيح من القرآن الكريم أو من السنة ، وما ورد عن الأمم السابقة من أخبار بتسمية بعض الأنبياء مما لا دليل عليه عندنا فلا نصدقه ولا نكذبه ، لأنه يحتمل

---

(١) ــ سورة النساء ١٢٦ .

(٢) ــ سورة النساء ١٦٤ .

(٣) ــ سورة البقرة ١٣٦ .

الصدق والكذب ، خصوصا ما نقل عن أهل الكتاب.

ويجب علينا أن نؤمن بأن جميع هؤلاء الرسل بعثهم الله لتحقيق غرض أساسي واحد هو عبادة الله عز وجل ، وإقامة دينه ، وتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ونعلم أن هؤلاء الرسل كلهم قد بعثوا بالإسلام ، وأن كل نبي منهم كان يأخذ الميثاق على أمته أن من أدرك منهم محمدا ﷺ فعليه أن يؤمن به ، قال الله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ (١).

مهمات الرسل :

١ــ **البلاغ المبين** : الرسل سفراء الله إلى عباده ، ومهمتهم الأولى هي إبلاغ هذه الأمانة إلى العباد ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ (٢) . والبلاغ يحتاج إلى الشجاعة وعدم خشية الناس ، قال الله تعالى : ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا﴾ (٣).

٢ــ **الدعوة إلى الله** : الرسل يدعون الناس إلى الأخذ بدعوتهم ، والاستجابة لها ، وتحقيقها في أنفسهم اعتقادا وقولا وعملا ، ينطلقون من منطلق واحد ، يقولون للناس أنتم عباد الله ، والله ربكم وإلهكم ، والله أرسلنا لنعرفكم كيف تعبدونه ، ويجب عليكم أن تطيعونا . وقد بذل الرسل في دعوة الناس إلى الله جهودا عظيمة ، فهذا نوح قد دعا قومه تسعمائة وخمسين سنة ، ليلا ونهارا، سرا وعلانية.

٣ــ **التبشير والإنذار** : دعوة الرسل تقترن بالتبشير والإنذار ، قال تعالى : ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ﴾ (٤)، والتبشير والإنذار دنيوي وأخروي ، فهم يبشرون الطائعين بالحياة

---

(١) ــ سورة آل عمران ٨١ .

(٢) ــ سورة المائدة ٦٧ .

(٣) ــ سورة الأحزاب ٣٩ .

(٤) ــ سورة الأنعام ٤٨ .

الطيبة ، قال الله تعالى : ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ [1] ، وقال : ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقي ﴾ [2]. ويخوفون العصاة بالشقاء الدنيوي ، والعذاب في الآخرة ، قال الله تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى * وكذلك نجزي من أسرف و لم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾ [3]. ويحذرونهم العذاب والهلاك الدنيوي ، قال الله تعالى : ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾[4].

٤ــ **إصلاح النفوس وتزكيتها** : إخراج الناس من الظلمات إلى النور لا يتحقق إلا بتعليمهم تعاليم ربهم ، وتزكية نفوسهم بمعرفة ربهم ، وأسمائه وصفاته ومحبته . قال الله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ [5] .

٥ــ **تقويم الفكر الزائف والعقائد المنحرفة** : كان الناس في أول أمرهم على الفطرة، ثم تفرقوا واختلفوا ، فبعث الله الرسل ليصححوا للناس مفاهيمهم ، وسلوكهم وأخلاقهم ، فما وجدوا من خير أقروه ، وما وجدوا من باطل أنكروه ، فأنكر نوح وإبراهيم عبادة الأصنام ، وأنكر هود الاستعلاء والتجبر في الأرض ، وصالح أنكر الإفساد ، وأنكر لوط جريمة اللواط ، وشعيب أنكر التطفيف في المكيال والميزان وهكذا ، قال الله تعالى : ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [6] .

٦ــ **إقامة الحجة على الناس** : أرسل الله تعالى الرسل كي لا يبقى للناس حجة عليه يوم القيامة

---

(١) ــ سورة النحل ٩٧ .

(٢) ــ سورة طه ١٢٣ .

(٣) ــ سورة طه ١٢٤ ــ ١٢٧ .

(٤) ــ سورة فصلت ١٣ .

(٥) ــ سورة الجمعة ٢ .

(٦) ــ سورة البقرة ٢١٣ .

، قال الله تعالى : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [1] ، فالرسل هم شهود لله تعالى على أممهم قال الله تعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ [2] .

٧ــ **سياسة الأمة** : الذين يستجيبون لدعوة الرسل يكونون أمة ، وهذه الأمة تحتاج من يسوسها ويقودها ، والرسل يقومون بهذه المهمة ، فهم القادة وهم واضعوا السياسة للأمة لحفظ أمنها ، وهم يحكمون بين الناس بالعدل، قال الله تعالى :﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [3] .

و الرسل في حياتهم هم الذين يقودون الأمة في السلم والحرب ، والمسلمون عليهم السمع والطاعة ، قال تعالى : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون * ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ [4] ، أما بعد موتهم فإن التحاكم يكون إلى شريعتهم وسننهم ما لم تنسخ ببعثة نبي آخر .

الوحي:

النبوة اختيار واصطفاء من الله تبارك وتعالى ، فهي لا تنال بمجرد الرغبة أو المجاهدة ، أو الكسب والاجتهاد ، أو اقتحام الصعوبات ، وتكلف أشق أنواع الطاعات ، قال الله تعالى : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير ﴾ [5]. والطريق الذي يعلم الله به أنبياءه ورسله هو الوحي ، ، قال الله تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾ [6] ، والملك الموكل بالوحي هو جبريل عليه السلام.

---

(١) ــ سورة النساء ١٦٥ .

(٢) ــ سورة النساء ٤١ .

(٣) ــ سورة ص ٢٦ .

(٤) ــ سورة النور ٥١ ــ ٥٢ .

(٥) ــ سورة الحج ٧٥ .

(٦) ــ سورة الشورى ١٥ .

صفات الرسل:

١ــ البشرية : وذلك لأنهم مبعوثون لتعليم البشر ، فكان من الحكمة أن يكون الرسل من البشر حتى يعطوا الناس المثل والقدوة في تطبيق الشعائر التي يدعونهم إليها، قال تعالى : ﴿ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ﴾ [١].

٢ــ الكمال البشري : الرسل يمثلون الكمال البشري الذي لا يمكن أن يصل إليه بشر بعهدهم ، فقد اختارهم الله ، واصطفاهم على الناس ليقوموا بهذه المهمة العظيمة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[٢].

٣ــ الكمال في الأخلاق : فقد وصف الله تعالى إبراهيم الخليل ــ عليه السلام ــ بالوفاء فقال تعالى : ﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ [٣] ، و قال في وصف إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام : ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا﴾ [٤]، فوصفه بصدق الوعد ، وقال تعالى في حق محمد ﷺ : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [٥] .

٤ــ الرسل خير الناس نسبا :اصطفى الله تعالى رسله من خيار الناس نفسا ونسبا ، حتى لا يجد أعداؤهم سبيلا إلى الطعن فيهم من أي جهة ، قال رسول الله ﷺ : (أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله تعالى خلق الخلق ، فجعلني في خيرهم ، ثم جعلهم فرقتين ، فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل ، فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتا ، فجعلني في خيرهم بيتا ، فأنا خيركم بيتا ، وخيركم نسبا) [٦].

٥ــ الذكورة : لم يبعث الله تعالى نبيا من غير الرجال ، وذلك لأن النبوة تحتاج القيام ببعض الأعمال التي لا تقدر عليها النساء ، قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم أنه لا

---

(١) ــ سورة إبراهيم ١١ .

(٢) ــ سورة الأنعام ١٢٤ .

(٣) ــ سورة النجم ٣٧ .

(٤) ــ سورة مريم ٤٥ .

(٥) ــ سورة القلم ٤ .

(٦) ــ رواه أحمد و الترمذي .

إله إلا أنا فاعبدون ﴾[1].

أمور تفرد بها الأنبياء دون البشر:

هناك صفات انفرد بها الأنبياء دون البشر، و لم يشاركهم فيها أحد، وهي:

١ــ الوحي[2] : قال الله تعالى: ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ﴾ [3].

٢ــ العصمة فيما يبلغون عن الله : قال الله تعالى : ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ [4] وقال جل ذكره : ﴿ وما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [5] ، ولا يجوز ادعاء العصمة لأحد من البشر البشر غير الأنبياء عليهم السلام ، كما تزعم بعض الفرق الضالة لأئمتها ، وكما يدعي بعض غلاة المتصوفة .

٣ــ تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم : قال الرسول ﷺ : (إن عيني تنامان ولا ينام قلبي) [6].

٤ــ يخيرون عند الموت : لقوله ﷺ : (ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة) [7].

٥ــ لا يقبر نبي إلا حيث يموت : قال الرسول ﷺ :(لم يقبر نبي إلا حيث يموت) [8].

٦ــ لا تأكل الأرض أجسادهم بعد الموت بل هم أحياء في قبورهم[9] : قال ﷺ : (إن الله حرم

---

(١) ــ سورة الأنبياء ٧ .

(٢) ــ جاء في القرآن الكريم أن الله أوحي إلى أم موسى ، وأوحى إلى النحل ، ولكن الوحي هنا ليس بالمعنى الشرعي الخاص بالنبوة ، بل هو بالمعنى اللغوي أى : الإلهام .

(٣) ــ سورة الكهف ١١٠ .

(٤) ــ سورة الأعلى ٦ .

(٥) ــ سورة النجم ٣ــ ٤ .

(٦) ــ رواه ابن حبان .

(٧) ــ رواه البخاري ومسلم .

(٨) ــ رواه الإمام أحمد .

(٩) ــ هذه الحياة حياة برزخية خاصة ، لاتعني أنهم يعلمون مايدور في الدنيا بعد وفاتهم ، ولا أنهم يتدخلون في أمور الأحياء بالنفع أو الضر .

حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) [1] ، وقال ﷺ :(إن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)[2].)[2].

٧ــ لا يورثون[3] وما تركوه من مال فهو صدقة : قال الرسول ﷺ : (لا نورث ، ما تركنا تركنا صدقة)[4].

٨ــ لا يجوز لأحد أن ينكح أزواجهم من بعدهم : قال الله تعالى : ﴿ وما كان لكم أن تــؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما﴾ [5] .

---

(١) ــ رواه أبو داود والنسائي .

(٢) ــ رواه الجماعة .

(٣) ــ جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وورث سليمان داود ﴾ ، (سورة النمل ١٦) ولكن هذه الوراثة ليست وراثة مال بل هي هي وراثة النبوة .

(٤) ــ متفق عليه .

(٥) ــ سورة الأحزاب ٥٣ .

الدرس السابع

الإيمان باليوم الآخر

الإيمان بالغيب من الأركان الأساسية التي بنيت عليها عقيدة الأمة المسلمة ، وهي سمة امتازت بها النفوس المؤمنة ، فهي تدرك أن هناك عالما رحبا ينتظرها ، وأن هذا الكون، وهذه الحياة القصيرة ليست كل شيء ، وإنما هناك حياة أخرى لا بد أن نحياها . قال الله تعالى واصفا المؤمنين :﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [1]. واليوم الآخر غيب ، ولذلك قرنه الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ بالأشياء المغيبة ، وجعل الإيمان به جزءا من الإيمان ، فقال : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون﴾ [2] . وكثيرا ما يربط الله ـــ تعالى ـــ الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر ؛ كما قال تعالى:﴿ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ [3] ، و غيرها من الآيات.

الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر:

وقد وردت آيات كثيرة تدل على وجوب الإيمان باليوم الآخر ، منها قول الله تعالى: ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ [4] . وقال : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات والأرض ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ [5] .

كما جاءت أحاديث تدل على أن اليوم الآخر واقع لا محالة ، وأحاديث تدل على أن الإيمان به ركن من أركان الإيمان بالله تعالى . فمن الأولى قول النبي ﷺ : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

---

(١) ـــ سورة البقرة ٣ .

(٢) ـــ سورة البقرة ٤ .

(٣) ـــ سورة الطلاق ٢ .

(٤) ـــ سورة البقرة ١٧٧ .

(٥) ـــ سورة الزمر ٦٨ .

فليكرم ضيفه) [1] . ومن الثانية حديث عمر بن الخطاب [2] ــ رضي الله عنه ــ الذي يصف فيه جبريل وهو يسأل النبي ﷺ عن الإيمان ، فيقول النبي ﷺ : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله) [3] .

الأمارات (العلامات) التي تسبق ذلك اليوم:

موعد وقوع الساعة من خصائص علم الله ــ تعالى ــ التي لم يظهر عليها أحدا ، قال الله تعالى : ﴿ يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ﴾[4]. و قد جاءت أحاديث نبوية تبين أن هناك علامات تظهر للناس قبل قيام الساعة، وتنقسم هذه العلامات إلى علامات صغرى ، وهي التي تأتي قبل الساعة بزمن ، وعلامات كبرى ، تأتي قبيل قيام الساعة .

فمن العلامات الصغرى ما جاء في حديث جبريل السابق الذكر : (أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان) ، وأيضا :كثرة القتل، وكثرة الزلازل وكثرة الأموال ، وكثرة الزنا والنساء ، وضياع الأمانة .

و من العلامات الكبرى التي تسبقها ما رواه حذيفة بن أسيد الغفاري [5] ــ رضي الله عنه ــ قال : (اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال : ما تذاكرون ؟ قالوا : نتذاكر الساعة . قال : إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ، وذكر الدخان والدجال والدابة، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ــ عليه السلام ــ وخروج يأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف ؛ خسف في المشرق ، وخسف في المغرب ، وخسف في جزيرة العرب ، وآخر تلك العلامات نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى

---

(١) ــ متفق عليه .

(٢) ــ هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب العدوي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة وثاني الخلفاء الراشدين ، وأفضل الصحابة بعد الصديق ، استشهد رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ٢٣هـ ، طعنه أبو لؤلؤة المجوسي وهو يصلي بالناس .

(٣) ــ رواه مسلم .

(٤) ــ سورة الأحزاب ٣٦ .

(٥) ــ هو صحابي من الذين بايعوا تحت الشجرة ، توفي سنة ٤٢ هـ .

محشرهم) [1] .

خطوات الإنسان إلى اليوم الآخر:

أول خطوة يخطوها الإنسان نحو القيامة هي موته ، والموت حق لازم على كل حي من مخلوقات الله ، قال تعالى ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ [2] ، وقال : ﴿كل نفس ذائقة الموت ﴾ [3]. فإذا مات ابن آدم انتقل من عالم إلي عالم آخر ، وإذا جاء أجل الإنسان أرسل الله ـــ سبحانه ـــ إليه ملك الموت فيقبض روحه ، قال تعالى: ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾[4] . وموعد الموت من مفاتح الغيب التي استأثر الله بعلمها ، قال تعالى : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ [5] .

ثم يدخل حياة جديدة هي القبر ، وهو أول منزلة من منازل الآخرة ، فقد روى هانئ مولى عثمان بن عفان [6] ـــ رضي الله عنه ـــ قال :كان عثمان ـــ رضي الله عنه ـــ إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتذكر القبر فتبكي ؟! فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول :(القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه) . قال : وسمعت رسول الله ﷺ يقول :(ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه) [7] .

وقد ورد أن للقبر ضمة لا ينجو منها كبير ولا صغير ، قال النبي ﷺ : (إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيا منها نجا سعد بن معاذ [8]) [9] .

---

(١) ـــ رواه مسلم .

(٢) ـــ سورة القصص ٨٨ .

(٣) ـــ سورة الأعراف ١٨٥ .

(٤) ـــ سورة الأنعام ٦١ .

(٥) ـــ سورة لقمان ٣٤ .

(٦) ـــ هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان الأموي ، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام ، و ثالث الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، الملقب بذي النورين ، استشهد في ذي الحجة سنة ٣٥ هـ .

(٧) ـــ رواه الترمذي .

(٨) ـــ هو سعد بن معاذ الأنصاري ، سيد الأوس ، ممن شهد بدرا ، استشهد رضي الله عنه من سهم أصابه بالخندق .

(٩) ـــ رواه أحمد .

و قال رسول الله ﷺ : (إذا قبر الميت – أو قال أحدكم – أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدها المنكر وللآخر النكير ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول : هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وإن كان منافقا قال : سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا أدري...) [1] .

عذاب القبر ونعيمه :

قال الإمام أبو العز الحنفي شارح العقيدة الطحاوية " وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه ، لمن كان أهلا لذلك ، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك ، والإيمان به ولا نتكلم في كيفيته ، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار ، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، بل إن الشرع قد يأتي بما تحار فيه العقول ، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا ، بل تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا " [2].

وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على عذاب القبر ، وذلك في قول الله تبارك و تعالى : ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ [3] ، قال المفسرون " عذاب الدنيا وعذاب القبر " [4] . وقال تعالى في شأن آل فرعون : ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ [5] ، والآية دليل على أنهم يعذبون قبل أن تقوم الساعة ، ثم يعذبون بعدها بأشد العذاب .

وروت السيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ أن النبي ﷺ إذا صلى تعوذ من عذاب القبر، وأنه قال : (عذاب القبر حق) [6] . وكان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه ــ رضي الله عنهم ــ هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن : (اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر

---

(١) ــ رواه الترمذي .

(٢) ــ انظر شرح الطحاوية ص٤٥٠ ــ ٤٥١ .

(٣) ــ سورة التوبة ١٠١ .

(٤) ــ انظر تفسير ابن كثير ٣٨٦/٢ .

(٥) ــ سورة غافر ٤٥ .

(٦) ــ رواه البخاري .

وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات) [1] . وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن العذاب يقع على الروح والبدن معا ، ويقع على الروح إذا كانت منفردة.

البعث والحشر :

إذا أراد الله جل شأنه إهلاك من في هذه الدنيا من الأحياء ، أمر إسرافيل عليه السلام بالنفخ في الصور ، فتنتهي الحياة في الأرض والسماء ، قال الله تعالى : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض ﴾ [2] . وهي نفخة هائلة مدمرة ، قال تعالى : ﴿ ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون * فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ [3]. و عن أبي هريرة [4] ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة) [5].

وينفخ في الصور مرتين : الأولى : يحصل بها الصعق ، والثانية : يحصل بها البعث ، قال الله تعالى : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ [6] . وقد سمى القرآن النفخة الأولى الراجفة وسمى النفخة الثانية الرادفة ، قال الله تعالى : ﴿ يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة ﴾ [7].

فإذا جاء وقت الساعة نفخ في الصور النفخة الثانية فعاد العباد أحياء ، قال الله تعالى : ﴿ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون * قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد

---

(١) ــ رواه مسلم .

(٢) ــ سورة الزمر ٦٨ .

(٣) ــ سورة يس ٤٩ ــ٥٠ .

(٤) ــ هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، أسلم والرسول صلى الله عليه وسلم في مكة ، على يد الطفيل بن عمر الدوسي ، وبقى في بلاد قومه حتى هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محاصر حصون اليهود في خيبر ، كان عريف أهل الصفة وهم فقراء المسلمين ، وهو أكثر الصحابة رواية للحديث ، توفي على الأرجح سنة ٥٧ هـ .

(٥) ــ رواه مسلم .

(٦) ــ سورة الزمر ٦٨ .

(٧) ــ سورة النازعات ٦ ــ٧ .

الرحمن وصدق المرسلون ﴾ [1] . و عن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ قال : قال رسول ﷺ : (ما بين النفختين أربعون ، ثم ينزل من السماء ماء ، فينبتون كما ينبت البقل ، وليس في الإنسان شيء إلا بلي إلا عظم واحدة ، وهو عجب الذنب ، منه يركب الخلق يوم القيامة) [2] .ثم يحشر الناس إلى ربهم ، قال تعالى : ﴿ قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ﴾ [3] ، وقال : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ [4].

أهوال يوم القيامة:

والذي يقرأ القرآن تطالعه مشاهد مخيفة عن يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم تروها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ [5] ، و قد سماه الله ـــ تعالى ـــ يوما عظيما في قوله : ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم ﴾ [6].

الحساب والجزاء :

بعد هذا الخوف الشديد يأتي الحساب ، وموقف الحساب موقف جليل ففي هذا اليوم يوقف الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ العباد جميعا بين يديه على صعيد واحد ، ويأتي الله تعالى للفصل بين العباد ، قال تعالى : ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ [7].

ولا يبقى في ذلك اليوم شيء مستور ، فالملائكة يحملون الكتب التي دونوا فيها أعمال العباد ، وكل واحد ينتظر نتيجة عمله ، وكل واحد سوف يحاسبه الله على أعماله ، ويكلمه وليس بينه وبين

---

(١) ـــ سورة يس ٥١ـــ ٥٢ .

(٢) ـــ رواه البخاري ومسلم .

(٣) ـــ سورة الواقعة ٤٨ـــ٥٠ .

(٤) ـــ سورة مريم ٩٣ ـــ ٩٥ .

(٥) ـــ سورة الحج ١ - ٢ .

(٦) ـــ سورة المطففين ٤ـــ٥ .

(٧) ـــ سورة الفجر ٢٢ .

الله مترجم ، قال الله تبارك و تعالى: ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ (١) . وفي هذا الموقف المخيف ، يعطي المؤمن كتابه بيمنه ، فيستبشر ويقول : ﴿ هاؤم اقرؤوا كتابيه * إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ (٢). ويعطى الكافر والمنافق كتابه بشماله فيقول : ﴿ يا ليتني لم أوت كتابيه * و لم أدر ما حسابيه ﴾ (٣).

القواعد التي يحاسب الله عليها العباد :

لو عذب الله جميع خلقه لم يكن ظالما لهم لأنهم عبيده وهو مالكهم ، وللمالك أن يتصرف في ملكه كيف شاء ، ولكن الحق ــ تبارك وتعالى ــ كتب على نفسه الرحمة ، وبين لنا قواعد يحاكم الله عليها عباده في كثير من النصوص القرآنية منها :

١ــ العدل التام المطلق : فالله سبحانه هو العدل ، وهو الحق ، ولا يظلم أحدا من خلقه ، فهو سبحانه غني عن ظلمهم ، قال الله تعالى : ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ (٤) ، ، وإنما العبد هو الذي يظلم نفسه بمعصيته لربه ، قال تعالى : ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾ (٥)، ونفي الظلم عن الله ــ تعالى ــ تكرر في أكثر من سورة في القرآن الكريم .

٢ــ لا يؤاخذ أحد بذنب غيره : فكل نفس بما كسبت رهينة ، قال الله تعالى : ﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (٦) .

٣ــ كل إنسان يطلعه الله سبحانه على أعماله ، ولا يحكم عليه إلا بهذه الأعمال التي قدمها ،

---

(١) ــ سورة الكهف ٤٩ .

(٢) ــ سورة الحاقة ٢٠ - ٢١ .

(٣) ــ سورة الحاقة ٢٥ - ٢٦ .

(٤) ــ سورة آل عمران ١٦١ .

(٥) ــ سورة فصلت ٤٦ .

(٦) ــ سورة الإسراء ١٥ .

قال الله تعالى : ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ [1] .

كما أن أعماله الحسنة تضاعف له ، فقد قال تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون ﴾ [2] . وهذا فضل من الله تعالى على عباده.

٤ــ ولا يؤخذ أحد بذنبه كذلك حتى يقام عليه الشهود ، وأول الشاهدين وخير الشاهدين هو الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿ إن الله كان على كل شيء شهيدا ﴾[3] . والأنبياء شهود على أممهم ، قال تعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾[4] . والملائكة شهود على كل فرد ، فخلال حياته كان معه رقيب وعتيد ، قال الله تعالى: ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ [5]. والأرض التي كان الإنسان يمشي عليها شاهدة عليه ، قال تعالى : ﴿ يومئذ تحدث أخبارها﴾ [6].

كما أن أعضاء بدن الإنسان شاهدة عليه ، فيوم القيامة يختم الله على فم الإنسان ويتكلم جلده ويده ورجله وكل عضو فيه ، قال الله تعالى :﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ [7] ، وقال تعالى : ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون * حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون * وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ [8].

الميزان والصراط :

---

(١) ــ سورة الإسراء ١٤ .

(٢) ــ سورة الأنعام ١٦٠ .

(٣) ــ سورة النساء ١٦ .

(٤) ــ سورة النساء ٤١ .

(٥) ــ سورة ق ٢١ .

(٦) ــ سورة الزلزلة ٤ .

(٧) ــ سورة يس ٦٥ .

(٨) ــ سورة فصلت ١٩ - ٢٣ .

توضع الموازين القسط[1] لتوزن بها أعمال العباد بعد اعتراف كل واحد منهم بأعماله، قال الله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ [2].

وقال رسول الله ﷺ: (يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة يا رب لمن يزن هذا ؟ فيقول الله تعالى : لمن شئت من خلقي ، فتقول الملائكة : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك) [3].

وهذا الميزان له كفتان توزن فيهما الأعمال ، قال ﷺ : (يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له تسعة وتسعون سجلا ، كل سجل منها مد البصر .

ثم يقال : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ .

فيقول : لا يا رب .

فيقال : أفلك عذر أو حسنة ؟ .

فيهاب الرجل ، فيقول : لا .

فيقال : بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج له بطاقة فيها أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله .

فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ .

فيقال : إنك لا تظلم ، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات [4] وثقلت البطاقة) [5].

---

(١) ــ القسط : العدل .

(٢) ــ سورة الأنبياء ٤٧ .

(٣) ــ رواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين .

(٤) ــ طاشت السجلات : أي خفت ، و السجلات : جمع سجل وهو الكتاب الكبير .

(٥) ــ رواه أحمد و الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم .

وإذا عرف كل إنسان نتيجة أعماله ، وحمل كتابه ، واعترف بما جنت يداه ، ينقسم الناس قسمين : أهل الجنة ، وأهل النار ، ويعبر الناس على الصراط ، وهو جسر دقيق فوق النار ، أدق من الشعرة ، وأحد من السيف ، فيثبت الله ــ سبحانه ــ المؤمن حتى يصل إلي الجنة ، أما الكافر فتخطفه الكلاليب فيهوي إلى قعر جهنم . كما يدخل عصاة المؤمنين النار ثم يخرجهم الله سبحانه متى شاء .

قال الرسول ﷺ: (يضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: « اللهم سلم سلم » وفي جهنم كلاليب[1] مثل شوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان ؟ .

قالوا : نعم .

قال : فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم من يوبق[2] بعمله ، ومنهم من يخردل[3] ثم ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار ، أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله ، فيخرجونهم ، ويعرفونهم بآثار السجود ، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار ، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا [4] ، فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل [5]، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ..) [6].

---

(١) ــ الكلاليب : جمع كلوب ، وهو حديدة لها رأس معقوف .

(٢) ــ يوبق : يهلك ويسقط .

(٣) ــ يخردل : يجرح ويقطع لحمه .

(٤) ــ امتحشوا : احترقوا .

(٥) ــ حميل السيل : مايحمله السيل من طين ونحوه .

(٦) ــ رواه البخاري .

الدرس الثامن

الجنة والنار

بعد أن يفصل الله بين العباد ينقسم الناس فريقين ، فريق في الجنة وفريق في السعير ويستقر أهل الجنة في الجنة على اختلاف درجاتهم ، كل بحسب عمله ، ويستقر أهل النار في النار – نسأل الله العافية – كل بحسب درجته وذنبه ، ويوجز الله سبحانه هذه النهاية أجمل وأدق إيجاز في آيات الزمر ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين * قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين * وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين * وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين * وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ [1].

أولا – النار:

وهي الدار التي خلقها الله ليعذب بها من شاء من عباده العاصين ، وهي الآن مخلوقة وموجودة في مكان لا يعلمه إلا الله ــ عز وجل ــ وقد وردت الآثار الصحيحة بأن الرسول ﷺ اطلع عليها وأراه الله فيها ما أعد لأهلها .

والنار خالدة لا تبيد ولا تفنى ولا يخرج منها أهلها ، وهي دركات أشدها هو الدرك الأسفل ، قال تعالى: ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ [2]، وهي واسعة بعيد قعرها [3] ، يدخلها أعداد لا تحصى ، قال الله تعالى : ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ [4] ، وقال رسول

---

(١) ــ سورة الزمر ١ ٧- ٧٥ .

(٢) ــ سورة النساء ١٤٥ .

(٣) ــ القعر هو : القاع .

(٤) ــ سورة ق ٣٠ .

الله ﷺ : (لو أن حجرا مثل سبع خلفات [1] ألقي من شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفا لا يبلغ قعرها) [2].

خزنتها :

خزنتها هم الملائكة وقد وصفهم الله بقوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [3].

وكبير الخزنة اسمه مالك ، قال الله تعالى في شأن أهل النار : ﴿ وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون ﴾ [4] .

وعددهم كثير لا يحصيه إلا الله عز وجل ، قال رسول الله ﷺ : (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك) [5] .

أبوابها :

للنار سبعة أبواب ، قال الله تعالى : ﴿ وإن جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾ [6] .

وهذه الأبواب تغلق على المجرمين ، قال الله تعالى : ﴿ عليهم نار مؤصدة ﴾ [7].

وقودها :

وقود النار هم الكفار والحجارة ، قال الله تعالى : ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة

---

(١) ــ الخلفات : جمع خلفة وهي الناقة .

(٢) ــ رواه الحاكم .

(٣) ــ سورة التحريم ٦ .

(٤) ــ سورة الزخرف ٧٧ .

(٥) ــ رواه مسلم .

(٦) ــ سورة الحجر ٤٣ - ٤٤ .

(٧) ــ سورة البلد ٢٠ .

أعدت للكافرين ﴾ [1] ، وهي نار شديدة الحرارة ، كما قال تعالى : ﴿ وما أدراك ما هيه * نار حامية ﴾ [2]، وقال أيضا : ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب * لا ظليل ولا يغني من اللهب * إنها ترمي بشرر كالقصر * كأنه جمالة صفر ﴾ [3] .

أهلها:

أهلها الخالدون بها هم الكفار والمشركون والمنافقون ، والمتكبرون عن عبادة الله ، والمكذبون بالتكاليف الشرعية من الجن والأنس ، أما الذين يدخلون النار ولا يخلدون فيها فهم عصاة المسلمين الذين لا تغفر ذنوبهم ، ويريد الله أن يعذبهم ، فيدخلون النار حتى إذا عذبوا ما يساوي ذنوبهم أخرجوا منها في آخر الأمر .

طعام أهل النار وشرابهم :

قال تعالى : ﴿ أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم * إنا جعلناها فتنة للظالمين * إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رؤوس الشياطين * فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون * ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم * ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ﴾ [4].

ثانيا : الجنة :

الجنة هي الجزاء العظيم والثواب الجزيل الذي أعده الله تعالى لعباده الطائعين ، يقول جل وعلا في الحديث القدسي : (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) [5].

صفة الجنة :

الجنة خالدة وأهلها خالدون فيها ، قال الله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت

---

(١) ــ سورة البقرة ٢٤ .

(٢) ــ سورة الواقعة٤٣ ــ ٤٤ .

(٣) ــ سورة المرسلات ٢٨ــ ٣٣ .

(٤) ــ سورة الصافات٦٢ــ ٦٨ .

(٥) ــ رواه البخاري .

لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ﴾[1] ، و في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، قال الله تعالى : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [2]. و للجنة ثمانية أبواب ، فعن سهل بن سعد[3] ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : (في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون)[4].

وللجنة درجات وأهلها متفاوتون في المنزلة والنعيم ، قال رسول الله ﷺ : (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة)[5] .

وتربة الجنة من المسك وحجارتها من اللؤلؤ ، قال الرسولﷺ : (أدخلت الجنة فإذا فيها جنادل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك)[6]، وفي الجنة أنهار وعيون ، قال تعالى : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ [7]، وقال :﴿ إن المتقين في ظلال وعيون﴾ [8].

أما عن أشجارها وثمارها فقد قال الله تعالى : ﴿ فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ [9]، وقال جل وعلا : ﴿ وفاكهة مما يتخيرون ﴾ [10]، وقال :﴿ في سدر مخضود * وطلع منضود * وظل ممدود * وماء مسكوب * وفاكهة كثيرة ﴾[11] .

طعام أهل الجنة وشرابهم :

---

(١) ــ سورة الكهف ١٠٧ــ١٠٨ .

(٢) ــ سورة السجدة١٧ .

(٣) ــ هو سهل بن سعد الساعدي الأنصاري الخزرجي ، له ولأبيه صحبة ، توفي سنة ٨٨ هـ.

(٤) ــ متفق عليه .

(٥) ــ رواه البخاري .

(٦) ــ متفق عليه .

(٧) ــ سورة البقرة ٢٥٥ .

(٨) ــ سورة المرسلات ٤١ .

(٩) ــ سورة الرحمن ٥٣ .

(١٠) ــ سورة الواقعة ٢٠ .

(١١) ــ سورة الواقعة ٢٧ ــ ٣٠ .

قال الله تعالى : ﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ [1] ، وقال : ﴿ وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون ﴾ [2] . وقال جل ذكره : ﴿ ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا زنجبيلا * عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ [3] ، وقال : ﴿ وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾ [4].

وقال الرسول ﷺ : (إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، ولا يتفلون ، ولا يتبولون ولا يتغوطون ، ولا يمتخطون). قالوا : فما بال الطعام ؟ قال:(جشاء كجشاء المسك) [5] .

آنية أهل الجنة و لباسهم وحليتهم فرشهم وخدمهم :

أخبرنا الله تعالى أن آنية أهل الجنة من الذهب والفضة ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ﴾ [6] ، وهذه الآنية وإن كانت من الفضة إلا أنها في صفاء القوارير من الزجاج ، قال الله تبارك و تعالى : ﴿ ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير * قوارير من فضة قدروها تقديرا ﴾ [7] .

وأما لباسهم وحليهم فهي كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾ [8] . وقال أيضا :﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق ﴾[9] .

أما فرشهم فقد قال جل ذكره : ﴿ فيها سرر مرفوعة * وأكواب موضوعة* ونمارق مصفوفة * وزرابي مبثوثة ﴾ [10] ، وقال: ﴿ متكئين على فرش بطائنها من إستبرق﴾ [1]. وأما خدمهم فهم الغلمان

---

(١) ــ سورة الحاقة ٢٤ .

(٢) ــ سورة الواقعة ٢٠ ــ ٢١ .

(٣) ــ سورة الإنسان ١٧ ــ ١٨ .

(٤) ــ سورة محمد ١٨ .

(٥) ــ رواه مسلم .

(٦) ــ سورة الزخرف٧١ .

(٧) ــ سورة الإنسان ١٥ ــ١٦.

(٨) ــ سورة الحج ٢٣ .

(٩) ــ سورة الكهف٣١ .

(١٠) ــ سورة الغاشية١٣ ــ ١٦ .

الغلمان الخالدون ، الذين هم في جمال اللؤلؤ المصون ، قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ﴾ [٢] .

نساء أهل الجنة ومساكنهم :

نساؤهم الحور العين ، قال تعالى : ﴿ كذلك وزوجناهم بحور عين ﴾ [٣]، وهن أبكار لم يواقعهن أحد قبلهم من الجن والإنس ، قال الله تعالى : ﴿ إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكارا ﴾ [٤] ، وقال تبارك اسمه : ﴿ فيهن خيرات حسان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * حور مقصورات في الخيام * فبأي آلاء ربكما تكذبان * لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾[٥] . وهن نساء عفيفات لا ينظرن إلى أحد غير أزواجهن ، قال الله تعالى: ﴿ فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾ [٦]. ولأهل الجنة مساكن ذات غرف ، قال تعالى : ﴿ومساكن طيبة في جنات عدن﴾ [٧]، وقال :﴿ وهم في الغرفات آمنون ﴾ [٨].

المنزلة العليا في الجنة :

وتسمى الوسيلة وهي خاصة للرسول ﷺ وقد عرفها ﷺ بأنها درجة لا ينالها إلا رجل واحد ، ثم أمر أمته بعد سماع الأذان أن يسألوا الله له الوسيلة ، فإن من فعل ذلك حلت له شفاعة محمد ﷺ فعن جابر بن عبد الله [٩] ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : (من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا

---

(١) ــ سورة الرحمن٥٤ .

(٢) ــ سورة الإنسان ١٩ .

(٣) ــ سورة الدخان ٥٤ .

(٤) ــ سورة الواقعة ٣٥-٣٦ .

(٥) ــ سورة الرحمن ٧٠ ــ ٧٤ .

(٦) ــ سورة الرحمن ٥٦ .

(٧) ــ سورة التوبة ٧٢ .

(٨) ــ سورة سبأ ٣٧ .

(٩) ــ انظر ترجمته في التقريب ص ١٣٦ رقم (٨٧١).

الذي وعدته : حلت له الشفاعة يوم القيامة)[1].

الأوائل في دخول الجنة :

أول الداخلين رسولنا ﷺ وأول الأمم أمته ، وأول أمته أبو بكر الصديق [2] رضي الله عنه ، فعن فعن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ قال : قال النبي ﷺ : (أتاني جبريل فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي) ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ! وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه . فقال رسول الله ﷺ :(أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي)[3]. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص[4] ـــ رضي رضي الله عنهما ـــ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :(إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا) [5].

دخول عصاة المؤمنين الجنة :

جاءت الآثار عن رسول الله ﷺ أن هناك من يدخل الجنة مباشرة ، وهناك من المؤمنين من قارف بعض السيئات التي لم تغفر له ، فيدخل النار ، حتى إذا مكث ما يشاء الله أخرجه الله بعد ذلك إلى الجنة ، فعن أبي سعيد الخدري [6] رضي الله عنه ـــ قال : قال رسول الله ﷺ : (أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ، فأماتتهم إماتة ، حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة ، فجيئ بهم ضبائر ضبائر [7] فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل : يا أهل

---

(١) ـــ رواه البخاري .

(٢) ـــ هو أبو بكر بن أبي قحافة التيمي ، أول السابقين إلى الإسلام من الرجال ، ورفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، ، وخليفته من بعده ، وأفضل الصحابة رضي الله عنهم ، توفي في جمادى الأولى سنة ١٣ هـ.

(٣) ـــ رواه أبو داود .

(٤) ـــ انظر ترجمته في التقريب ص ٣١٥ رقم (٣٤٩٩) .

(٥) ـــ رواه مسلم .

(٦) ـــ هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ، له ولأبيه صحبة ، وهو أحد المكثرين في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ، اختلف في تأريخ وفاته فقيل ٦٣ أو ٦٤ أو ٦٥ أو ٧٤ .

(٧) ـــ أي : جماعات جماعات .

الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل [١] السيل)[٢].

سادة أهل الجنة :

سادة أهل الجنة من الشيوخ هما الشيخان رضي الله عنهما ، فقد قال رسول الله ﷺ : (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين)[٣] . ومن الشباب السبطان رضي الله عنهما ، قال قال الرسول ﷺ : (الحسن والحسين [٤] سيدا شباب أهل الجنة) [٥] .

ومن النساء من وردن في قول النبي ﷺ: (أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد [٦] ، وفاطمة بنت محمد [٧] ، ومريم ابنة عمران [٨] ، وآسية بنت مزاحم [٩])[١٠] .

العشرة المبشرون بالجنة :

هناك الكثير من الصحابة الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة في أحاديث كثيرة ، وأفضلهم هم العشرة الذين جمعوا في حديث واحد ، وهم أفضل الصحابة بإجماع الأمة ، قال الرسول ﷺ : (أبو بكر

---

(١) ــ أي مايحمله السيل من طين ونحوه .

(٢) ــ رواه مسلم .

(٣) ــ انظر تخريجه في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٨٢٤) .

(٤) ــ هما سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ابنا على بن أبي طالب وفاطمة بنت محمد رضي الله عنهم أجمعين ، توفي الحسن رضي الله عنه ٤٩ هـ . وتوفي الحسين رضي الله عنه شهيدا يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ .

(٥) ــ حديث متواتر رواه أحمد و الترمذي والحاكم والطبراني وابن حبان وابن عساكر عن جمع من الصحابة .

(٦) ــ هي خديجة بنت خويلد الزوجة الأولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم أولاده كلهم ماعدا إبراهيم ، وأول من آمن به توفيت رضي الله عنها والمسلمون محاصرون في شعب أبي طالب سنة عشر من البعثة .

(٧) ــ هي بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من السيدة خديجة رضي الله عنها ، وزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأم وأم الحسن والحسين رضي الله عنهما ، توفيت رضي الله عنها بعد النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر .

(٨) ــ هي مريم بنت عمران ، أم عيس ابن مريم نبي الله وسيدة نساء العالمين ، وزوج النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة .

(٩) ــ هي آسية بنت مزاحم ، امرأة فرعون لعنه الله ، التي برأها الله منه ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة .

(١٠) ــ رواه أحمد والطحاوي والحاكم .

في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي [١] في الجنة ، وطلحة [٢] في الجنة ، و الزبير [٣] في في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف [٤] في الجنة ، وسعد بن أبي وقاص [٥] في الجنة ، وسعيد بن زيد [٦] في في الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح [٧] في الجنة) [٨].

آخر من يدخل الجنة :

قال رسول اللهﷺ : (يبقى رجل بين الجنة والنار ، وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار ، فيقول : يا رب ! اصرف وجهي عن النار . قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها .

فيقول: هل عسيت إن فُعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك ؟ .

فيقول: لا وعزتك .

فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق ، فيصرف الله وجهه عن النار ، فإذا أقبل به على الجنـــة ، رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم قال: يا رب! قدمني عند باب الجنة .

فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت؟ .

فيقول: يا رب! لا أكون أشقى خلقك .

---

(١) ــ هو علي بن أبي طالب ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأول من أسلم من الصبيان ، ورابع الخلفاء الراشدين ، توفي في في رمضان سنة ٤٠ هــ .

(٢) ــ هو طلحة بن عبيد الله التيمي ، استشهد في معركة الجمل سنة ٣٦ هــ .

(٣) ــ هو الزبير بن العوام الأسدي ، ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية رضي الله عنها ، وحواري رسول الله، قتله ابن ابن جرموز غدرا وهو راجع يوم الجمل سنة ٣٦ هــ.

(٤) ــ هو عبد الحمن بن عوف الزهري من السابقين الأولين إلى الإسلام ، توفي سنة ٣٢ هــ.

(٥) ــ هو سعد بن مالك الزهري ، من السابقين الأولين ، أسلم على يد الصديق رضي الله عنهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه خاله ، و هو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، وهو ممن اعتزل الفتن التي وقعت بين الصحابة توفي سنة ٥٥ هــ ، وهو آخر العشرة وفاة .

(٦) ــ هو سعيد بن زيد العدوي ، ابن عم عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، توفي سنة ٥٠ هــ.

(٧) ــ هو أمين هذه الأمة ، عامر بن الجراح الفهري ، من السابقين الأولين إلى الإسلام ، أسلم في أول البعثة على يد الصديق ، توفي توفي في الطاعون المشهور بطاعون عمواس سنة ١٨ هــ.

(٨) ــ رواه أحمد والترمذي .

فيقول: فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره ؟ .

فيقول: لا وعزتك لا أسأل غير ذلك.

فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق ، فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا بلغ بابها ، فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور ، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يا رب! أدخلني الجنة .

فيقول الله :ويحك يا ابن آدم! ما أغدرك ! أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت؟ .

فيقول: يا رب! لا تجعلني أشقى خلقك .

فيضحك الله عز وجل منه ، ثم يأذن له في دخول الجنة ، فيقول: تمن . فيتمنى حتى إذا انقطع أمنيته ، قال الله عز وجل : من كذا وكذا أقبل يذكره ربه، حتى إذا انتهت به الأماني ، قال الله تعالى : لك ذلك ومثله معه) [1].

(١) ــ رواه البخاري .

الدرس التاسع

الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها ، فيجب الإيمان بالقدر ، خيره وشره ، حلوه ومره ، قليله وكثيره ، و الإيمان بأنه من الله تعالى ، والإيمان بالقدر متصل بالإيمان بذات الله سبحانه وتعالى ، وهو يدور بين حكمة الله وعدله ، وبأنه هو المدبر والمتصرف في كل أمر لا شريك له في شيء من ذلك ، ولا محيد لأحد عن قضائه ، خلق من شاء للسعادة ، واستعمله لها بفضله، وخلق من شاء للشقاوة ، واستعمله لها بعدله.

فله ـــ تعالى ـــ القدرة المطلقة التي لا يعجزها شيء ، والقدرة صفة من صفاته العُلى ، ومن أسمائه الحسنى القادر والقدير والمقتدر. قال تعالى : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾ [1] ، و عن أبي هريرة ـــ رضي الله ـــ عنه قال : (جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت : ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر* إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [2] ...)[3].

القدر والمعصية :

القدر سر الله تعالى ، حجبه عن خلقه ، وأمرهم بالإيمان به ، فلا يجوز أن يجعل قدر الله حجة على الله بعد إرسال الرسل ، فقد أمرنا بالطاعة وترك المعصية وأمرنا بالإيمان بالقدر ، وقامت الحجة علينا بإنزال الكتب ، وبعثة الرسل ، والأمر والنهي لا يكونان إلا لمستطيع الفعل والترك ، والله تعالى لم يجبر أحدا على المعصية، و لم يكلف أحدا ما لا يطيق.

فالقدر سر الله تعالى والعباد خلقه ، والأمر له وحده ، قال تعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ [4]، ولو كان القدر حجة لأحد لما عذب الله العصاة والكفار، والعذاب للكفار ثابت

---

(١) ـــ سورة الأحزاب ٣٨ .

(٢) ـــ سورة القمر ٤٨ ـــ ٤٩ .

(٣) ـــ رواه مسلم .

(٤) ـــ سورة الأعراف ٥٤ .

يقينا بناء على مسئوليتهم عن أفعلهم ، وهو سبحانه وتعالى كما قال عن نفسه : ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ [1]، وذلك لأنه تعالى حكيم يضع الشيء في موضعه ولو لم تتضح الحكمة لكل الخلق ، كما جهل الملائكة الحكمة من خلق آدم عليه السلام ، أما الإنسان فيسأل عن فعله لأن الحكمة تنقصه ، ومن هنا يكون الاحتجاج بقدر الله على معصية الله احتجاج باطلا ، قال الله تعالى : ﴿ قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ [2] .

أركان الإيمان بالقضاء والقدر:

يشتمل الإيمان بالقدر على أربعة أركان ، من أقر بها جميعا كان إيمانه بالقدر كاملا ومن نقص منها واحدا أو كثر فقد اختل إيمانه بحسب ما ترك ، وهي:

أولا : الإيمان بعلم الله الشامل :

فالله ــ سبحانه وتعالى ــ يعلم ما كان وما سيكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم الموجود والمعدوم ، والممكن والمستحيل ، وهو يعلم بالعباد وآجالهم، وأرزاقهم وأحوالهم، وحركاتهم وسكناتهم ، وشقائهم وسعادتهم ، ومن هم أهل الجنة ، ومن هم أهل النار ، ويعلم أنه سيأمرهم باتباع الشرع فمنهم من يطيع ومنهم من يعصي، يعلم ذلك قبل خلقهم ، وقبل خلق السموات والأرض . قال تعالى : ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ [3] ، وقال : ﴿ وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ [4].

ثانيا : الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء:

كتب الله مقادير الخلق في اللوح المحفوظ ، لعلم الله السابق بما يكونون عليه ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت ﷺ يقول : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)[5] .

---

(١) ــ سورة الأنبياء ٢٣ .

(٢) ــ سورة الأنعام ١٤٩ .

(٣) ــ سورة الحشر ٢٢ .

(٤) ــ سورة الطلاق ١٢ .

(٥) ــ رواه مسلم .

وقال الله تعالى : ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾[1] ، ولايستطيع أحد أن يتزحزح عما كتب الله له ، يدخل في ذلك الهدى والضلال ، والموت والحياة ، والدنيا والآخرة .

ثالثا : الإيمان بمشيئة الله الشاملة وقدرته النافذة:

فالله ــ تعالى ــ لا يعجزه شيء ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فالسماء والأرض ملكه ولا يكون في ملكه إلا ما يريد . قال الله تعالى : ﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ [2]، وقال : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [3] ، ولوشاء لجعل الناس كلهم مهتدين ، ولكنه لحكمة يريدها خلقهم فمنهم مسيء ومنهم محسن .

رابعا : الإيمان بأن الله خالق كل شيء:

فالله سبحانه هو الذي خلق الخلق لا شريك له في ذلك ، فكل ما في السموات والأرض مخلوق لله ، قال تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ [4] ، ولذلك لا يكون في ملكه شيء خارج إرادته وقدرته . لا يخرج من ذلك العباد وأفعالهم فقد علم ما سيعمله عباده ، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ ، قال الله تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون﴾ [5] .

وذلك لا ينفي مسئولية الإنسان عن أعماله ، لذلك شرعت العقوبات والحدود في الدنيا ، وأنذر المجرمون بالعذاب في الآخرة ، ولا يجوز للعباد ترك العمل بما أمر الله به احتجاجا بالقدر ، فالقدر مستور عن الناس ، وهم مأمورون بالعمل بما أمر به الوحي، فعليهم فعل ما أمروا به ، والاستقامة على الشرع ، فهم لا يعلمون ما قدر لهم حتى يقع .

وماقدره الله تعالى من أفعال الإنسان وأحواله فقد قدره بأسبابه التي خلقها، فهو خالق السبب والمسبب ، وربط الأسباب بمسبباتها سنة من سنن الله في خلقه، ومن هذه الأسباب ما يستطيع الإنسان

---

(١) ــ سورة يسن ١٢.

(٢) ــ الأنعام ١١١ .

(٣) ــ سورة يسن ٨٢ .

(٤) ــ سورة الزمر ١٢ .

(٥) ــ سورة الصافات ٥٢ .

معرفته بفطرته، ومنها ما لا يستطيع معرفته إلا بتعليم الله له، ومن ذلك أن الشرع المطهر جعل الأعمال الصالحة سببا في دخول الجنة .

ثمار الإيمان بالقدر:

إن كثيرا من المسلمين قد فهموا عقيدة القدر التي جاء بها الإسلام فهما سقيما ، وظنوا أن تـــرك العمل هو تحقيق عقيدة الإيمان بالقدر ، لذلك أصاب الكسل والخمول قطاعا كبيرا من الأمة الإســـلامية عبر العصور، وهم يزعمون أنهم مؤمنون بالقدر ، وما ذلك إلا نتيجة انحراف المسلمين في باب القـــدر حيث لم يفقهوه على وجهه.

ومن تأمل في عقيدة القدر التي جاء بها الإسلام وجد لها ثمارا كثيرة طيبة ، كانت ولا زالـــت سببا في صلاح الفرد والأمة . وإليك ما ظهر لنا منها :

١ــ الإيمان بالقدر طريق الخلاص من الشرك:

لقد زعم كثير من الفلاسفة أن الخير من الله ، وأن الشر من صنع آلهة من دونه ، وإنما قـــالوا هذا القول فرارا من نسبة الشر إلى الله ــ تعالى ــ والمجوس زعموا أن إله النور خالق الخـــير ، وإلـــه الظلام خالق الشر ، والذين زعموا من هذه الأمة أن الله لم يخلق أفعال العباد ، أو لم يخلق الضال منـــها أثبتوا خالقين من دون الله.

ولا يتم توحيد الله إلا لمن أقر أن الله وحده الخالق لكل شيء في الكون ، وأن إرادته ماضية في خلقه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فكل المكذبين بالقدر لم يوحدوا ربهم ، ولم يعرفوه حق معرفته ، والإيمان بالقدر مفرق طريق بين التوحيد والشرك ، فالمؤمن بالقدر يقر بأن هذا الكون وما فيه صادر عن إله واحد ومعبود واحد ، ومن لم يؤمن هذا الإيمان فإنه يجعل من دون الله آلهة وأربابا.

٢ــ الاستقامة على منهج سواء في السراء والضراء:

العباد بما فيهم من قصور وضعف لا يستقيمون على منهج سواء في كل حين، قال الله تعالى : ﴿ إن الإنسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا * وإذا مسه الخير منوعا * إلا المصلين﴾ [1] .

---

(١) ــ سورة المعارج ١٩ - ٢٢ .

والإيمان بالقدر يجعل الإنسان يمضي في حياته على منهج سواء ، لا تحمله النعمة على البطر ولا المصيبة على اليأس ، فهو يعلم أن كل ما أصابه من نعم وحسنات من الله ، لا بذكائه وحسن تدبيره ، بل كل نعمة أصابت العبد إنما هي من الله تعالى الذي يقول :﴿ وما بكم من نعمة فمن الله﴾ [1].

فهذا قارون الذي بغى على قومه ، واستطال عليهم بما أعطاه الله من كنوز وأموال وزعم أنه إنما أوتي ذلك بعلمه وقدرته ، فكان أن خسف الله به وبداره الأرض ، قال الله تعالى : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين * وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين * قال إنما أوتيته على علم عندي ﴾[2].

وإذا أصاب العبد الضراء والبلاء علم أن هذا بتقدير الله ابتلاء منه ، فلا يجزع ولا ييأس ، بل يحتسب ويصبر ، فيكون ذلك خيرا له ، قال تعالى :﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما ءاتاكم ﴾ [3] ، وقد امتدح الله عباده المؤمنين بقوله : ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [4].

٣ــ المؤمن بالقدر دائما على حذر:

المؤمنون بالقدر دائما على حذر ، وقلوب العباد دائمة التقلب والتغير ، والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، والفتن التي توجه سهامها إلى القلوب كثيرة ، والمؤمن يحذر دائما أن يأتيه ما يضله كما يخشى أن يختم له بخاتمة سيئة ، وهذا لا يدفعه إلى التكاسل والخمول ، بل

---

(١) ــ سورة النحل ٥٣ .

(٢) ــ سورة القصص ٧٦ــ ٧٨ .

(٣) ــ سورة الحديد ٢٢ .

(٤) ــ سورة البقرة ١٥٦ .

يدفعه إلى المجاهدة الدائبة للاستقامة ، والإكثار من الصالحات ، ومجانبة المعاصي والموبقات ، كما يبقى قلب العبد معلقا بخالقه ، يدعوه ويرجوه ويستعينه ، ويسأله الثبات علي الحق، كما يسأله الرشد والسداد.

٤ــ مواجهة الصعاب والأخطار بقلب ثابت:

إذا آمن العبد بأن كل ما يصببه مكتوب ، وآمن أن الأرزاق والآجال بيد الله فإنه يقتحم الصعاب بقلب ثابت ورأس مرفوع ، وقد كان هذا الأيمان من أعظم ما دفع المجاهدين إلى الإقدام في ميدان القتال غير هيابين ولا خائفين ، وكان الواحد منهم يطلب الموت كما يطلب الحياة ويرمي بنفسه في أماكن يظن فيها هلاكه ، ثم تراه يموت على فراشه ، فيحزن لأنه لم يمت شهيدا.

وكان هذا الإيمان من أعظم ما ثبت قلوب الصالحين في مواجهة الظلمة والطغاة ، لا يخافون في الله لومة لائم ، لأنهم يعلمون أن الأمر بيد الله ، وما قدر لهم سيأتيهم، وكانوا لا يخافون من قول كلمة الحق خشية انقطاع الرزق ، فالرزق بيد الله ، وما كتبه الله لعبده من رزق لا يستطيع أحد منعه وما منعه الله عبدا من عبيده لا يستطيع أحد إيصاله إليه .

الدرس العاشر

الطهارة

أولا – الوضوء:

الوضوء شرط من شروط الصلاة ، قال رسول الله ﷺ : (لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ) [1].

فروض الوضوء :

١ــ النية لقول الرسول ﷺ :(إنما الأعمال بالنيات) [2].

٢ــ غسل الوجه ، وحدوده من منابت الشعر إلى اللحيين طولا ومن الأذن إلى الأذن عرضا.

٣ــ غسل اليدين إلى المرفقين.

٤ــ مسح الرأس.

٥ــ غسل الرجلين مع الكعبين. والدليل على ما كل سبق قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ [3].

سنن الوضوء [4] :

١ــ التسمية لقول الرسول ﷺ : (لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه)[5] .

٢ــ الترتيب .

---

(١) ــ رواه البخاري ومسلم . ومن نسي فيسمي حين يذكر.

(٢) ــ رواه مسلم . والنية هي: توجه القلب للفعل ابتغاء وجه الله ، وهي عمل قلبي لا دخل للسان فيه ، والتلفظ بها بدعة.

(٣) ــ سورة المائدة ٦ .

(٤) ــ هناك خلاف قوي بين العلماء في بعضها فمنهم من يجعلها سننا ومنهم من يجعلها واجبات.

(٥) ــ رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة .

٣ــ التيامن : لحديث عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : (كان رسول الله ﷺ يحب التيامن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله) [١] .

٤ــ السواك لقوله ﷺ : (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء)[٢] .

٥ــ غسل الأعضاء ثلاثا لقوله ﷺ وقد سأله أعرابي عن الوضوء فأراه ثلاثا ثلاثا ثم قال :(هذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم) [٣].

٦ــ المضمضة والاستنشاق والاستنثار[٤] ثلاثا ، لحديث علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ أنه دعا بوضوء فتمضمض واستنشق ، ونثر بيده اليسرى ، ففعل ذلك ثلاثا ، ثم قال: (هذا طهور نبي الله ﷺ)[٥] . والسنة المبالغة في الاستنشاق لغير الصائم ، لقول النبي ﷺ : (وبالغ في الاستنشاق إلا أن أن تكون صائما) [٦] .

٧ــ تخليل اللحية ، لحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه : (أن النبي ﷺ كان يخلل لحيته)[٧].

٨ــ تخليل أصابع اليدين والقدمين ، لقول الرسول ﷺ :(إذا توضأت فخلل أصابع يديك ورجليك)[٨].

٩ــ الدعاء بعد الفراغ من الوضوء[٩] بالحديث التالي : عن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : (ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله

---

(١) ــ متفق عليه .

(٢) ــ رواه مالك والشافعي والحاكم .

(٣) ــ رواه أحمد والنسائي وابن ماجة .

(٤) ــ الاستنشاق : هو إدخال الماء إلى الأنف ، والاستنثار : هو لإخراج الماء من الأنف .

(٥) ــ رواه أحمد والترمذي .

(٦) ــ رواه أبو داود و الترمذي والنسائي وابن ماجة .

(٧) ــ رواه الترمذي .

(٨) ــ رواه أحمد والترمذي .

(٩) ــ هناك أدعيه جعلها بعض الناس لتقال عند غسل كل عضو من أعضاء الإنسان عند الوضوء ، ولكن ذلك مما لا دليل عليه من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو من البدع .

إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء)[1] ، وفي زيادة :(اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين)[2].

نواقض الوضوء[3] :

١ــ ما خرج من القبل أو الدبر من بول أو غائط أو ريح أو مني أو مذي أو ودي .

٢ــ النوم المستغرق.

٣ــ أكل لحم الجزور ، فعن جابر بن سمرة[4] ــ رضي الله عنه ــ أن رجلا سأل النبي ﷺ : أنتوضأ من لحوم الغنم ؟ قال : (إن شئت توضأ وإن شئت فلا تتوضأ) ، قال أنتوضأ من لحوم الإبل ؟ قال : (نعم توضأ من لحوم الإبل)[5] . وعن البراء بن عازب[6] ــ رضي الله عنه ــ قال : سئل رسول الله ﷺ عن الوضوء من لحوم الإبل ، فقال : (توضأوا منها)، وسئل عن لحوم الغنم ، فقال : (لا تتوضأوا منها)، [7].

٤ــ مس الفرج بدون حائل ، لحديث بُسْرة بنت صفوان[8] ــ رضي الله عنها ــ قالت: قال رسول الله ﷺ : (من مس ذكره فليتوضأ) [9] .

٥ــ زوال العقل بأي وسيلة مثل الجنون والإغماء والسكر فإنه أشد من النوم.

ثانيا ــ المسح على الخفين :

---

(١) ــ رواه مسلم .

(٢) ــ رواه الترمذي بإسناد حسن .

(٣) ــ هناك خلاف قوي بين العلماء في بعضها .

(٤) ــ انظر ترجمته في التقريب ص ١٣٦ ، رقم(٨٦٧) .

(٥) ــ رواه أحمد ومسلم .

(٦) ــ انظر ترجمته في التقريب ص ١٢١ رقم (٦٤٨) .

(٧) ــ رواه أحمد وأبو داود وابن حبان .

(٨) ــ انظر ترجمتها في التقريب ص ٧٤٤ رقم (٨٥٤٤) .

(٩) ــ رواه مالك وأحمد.

شروط المسح على الخفين [1]:

١ــ أن يلبسهما ورجلاه طاهرتان : لحديث المغيرة بن شعبة [2] ــ رضي الله عنه ــ قال : " كنت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة في مسير ، فأفرغت عليه من الماء، فغسل وجهه وذراعيه ومسح برأسه ، ثم أهويت لأنزع خفيه ، فقال : (دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين) فمسح عليهما " [3] .

٢ــ أن تكونا طاهرتين بنفسيهما.

٣ــ أن يكون المسح عن الحدث الأصغر لا عن الأكبر.

٤ــ أن يكون المسح في المد ة المحددة ، وهي : يوم وليلة للمقيم ، وثلاثة أيام بلياليهن للمسافر.

والدليل على ذلك قول صفوان بن عسال[4] رضي الله عنه : (أمرنا رسول الله ﷺ أن نمسح على الخفين إذا نحن أدخلناهما على طهر ، ثلاثا إذا سافرنا، ويوما وليلة إذا أقمنا ، ولا نخلعهما إلا من جنابة) [5] .

محل المسح:

محل المسح هو ظهر الخف لقول علي رضي الله عنه : (لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه ، لقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه) [6].

ثالثا – الغسل :

موجبات الغسل:

---

(١) ــ الخفان : تثنية خف ، و الخف : هو نعل من جلد ، ويلحق به الجورب .

(٢) ــ انظر ترجمته في التقريب ص ٥٤٣ رقم (٦٨٤٠) .

(٣) ــ رواه البخاري ومسلم .

(٤) ــ انظر ترجمته في التقريب ص ٢٧٧ رقم (٢٩٣٧).

(٥) ــ رواه أحمد والترمذي .

(٦) ــ رواه أبو داود .

١ــ خروج المنى لقوله ﷺ : (الماء من الماء) [١].

٢ــ الجماع لقول الله تعالى: ﴿ وإن كنتم جنبا فاطهروا ﴾ [٢] .

٣ــ انقطاع دم الحيض والنفاس من المرأة ، لقول الله تعالى : ﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ﴾ [٣] .

٤ــ الموت : إذا مات المسلم وجب تغسيله إجماعا.

٥ــ إذا أسلم الكافر لأن النبي ﷺ أمر ثمامة بن أثال [٤] بالغسل بعد إسلامه.

أركان الغسل:

١ــ النية.

٢ــ غسل البدن كله.

رابعا – التيمم:

وهو استخدام التراب في الطهارة ، لقول الله تعالى : ﴿ وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا ﴾ [٥]. وذلك بأن يضرب بيديه الصعيد الطاهر ضربة واحدة ، ثم يمسح بهما وجهه ويديه إلى الرسغين بعد التسمية.

متى يباح التيمم ؟

١ــ إذا فقد الماء أو كان قليلا لا يكفي إلا لحاجته الضرورية كالشرب ونحوه.

---

(١) ــ رواه مسلم .

(٢) ــ سورة المائدة ٦ .

(٣) ــ سورة البقرة ٢٢٢ .

(٤) ــ هو ملك اليمامة ، أسلم بعد أن أسرته سريه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد ارتداد أهل اليمامة مع مسيلمة ثبت على على إسلامه ، ولحق بالعلاء بن الحضرمي فقاتل المرتدين من أهل البحرين ، وتوفي بعيد ذلك .

(٥) ــ سورة النساء ٤٣ .

٢ــ إذا كان به مرض لا يقدر معه على استعمال الماء .

٣ــ إذا خشي على نفسه من برودة الماء و لا يقدر على تسخينه .

نواقضه:

١ــ ما ينقض الوضوء.

٢ــ وجود الماء.

الدرس الحادي عشر

الصلاة

منزلتها في الإسلام:

الصلاة أهم أركان الإسلام العملية ، وهي عمود الدين كما صرحت بذلك أحاديث كثيرة ، وهي أول ما أوجبه الله من العبادات ، وفرضت على النبي ﷺ في السماء ليلة عرج به ، وقد تولى الله إيجابها بمخاطبة الرسول ﷺ بها دون واسطة، وقد صرحت النصوص الشرعية أنها هي أول ما يحاسب عليه العبد ، فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله ، وقد كانت آخر وصية وصى رسول الله ﷺ بها في قوله : (الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم) [1].

على من تجب الصلاة ؟

تجب الصلاة على كل مسلم ومسلمة مكلفين ، أي :بالغين عاقلين لقوله ﷺ : (رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل)[2].

حكم تارك الصلاة:

أجمع المسلمون على أن من ترك الصلاة جاحدا لها ومنكرا لوجوبها ، فقد كفر كفرا مخرجا من ملة الإسلام ، واختلفوا فيمن ترك الصلاة تكاسلا وتهاونا غير منكر لوجوبها ، غير أنهم أجمعوا على أن من ترك الصلاة بغير عذر فلا يجوز تركه في المجتمع الإسلامي دون عقاب ، و قد صرحت الأحاديث بكفر تارك الصلاة ومنها :

أ) ــ عن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : (بين الرجل والكفر ترك الصلاة) [3].

---

(١) ــ رواه أحمد.

(٢) ــ رواه أحمد .

(٣) ــ رواه مسلم ،

ب) ــ عن بريدة [1] ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) [2].

مواقيتها:

قال الله تعالى : ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ [3].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضي الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ قال :(وقت الظهر إذا زالت الشمس وكان ظل الرجل كطوله ما لم يحضر العصر ، ووقت العصر ما لم تصفر الشمس ، ووقت المغرب ما لم يغب الشفق ، ووقت العشاء إلى نصف الليل الأوسط ، ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر وما لم تطلع الشمس)[4] .

صلاة الجماعة :

صلاة الجماعة واجبة على الذكور المقيمين القادرين على حضورها في المساجد ، والأدلة على ذلك كثيرة منها :

أ – قول الله تعالى: ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ [5] .

ب – الأمر بها في حال الحرب فكيف بحال السلم ؟ ، قال تعالى:﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم ﴾ [6].

ج – عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : أتى النبي ﷺ رجل أعمى ، فقال : يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد ، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته ، فرخص له ، فلما

---

(١) ــ انظر ترجمته في التقريب ص ١٢١ رقم (٦٦٠) .

(٢) ــ رواه أحمد .

(٣) ــ سورة النساء ١٠٣ .

(٤) ــ رواه مسلم .

(٥) ــ سورة البقرة ٤٣ .

(٦) ــ سورة النساء ١٠٢ .

ولى دعاه ، فقال له : (هل تسمع النداء في الصلاة) ؟ قال : نعم ، قال :(فأجب) [1] .

د – وعنه ـــ رضي الله عنه ـــ أن رسول الله ﷺ قال :(والذي نفسي بيده ، لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ، ثم أخالفه إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم)[2] .

هـــ – وعن أبي الدرداء[3] ـــ رضي الله عنه ـــ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:(ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) [4] .

و – وعن ابن مسعود ـــ رضي الله عنه ـــ قال : " من سر ه أن يلقى الله تعالى غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف " [5].

فضل صلاة الجماعة:

ورد كثير من الأحاديث في فضل صلاة الجماعة ، منها :

أ – (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة)[6] .

ب – (إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا ينزعه إلا الصلاة لم تزل رجله اليسرى تمحو عنه سيئة ، وتكتب اليمنى حسنة ، حتى يدخل المسجد ، ولو يعلم الناس ما في

---

(١) ـــ رواه مسلم .

(٢) ـــ متفق عليه .

(٣) ـــ انظر ترجمته في التقريب ص٤٣٤ رقم (٥٢٢٨) .

(٤) ـــ رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم .

(٥) ـــ رواه مسلم .

(٦) ـــ متفق عليه .

العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا)[1].

ج – (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى العشاء والفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله) [2] .

الأذان:

شرع الأذان في السنة الأولى من الهجرة ، لإعلام المسلمين بدخول وقت الصلاة ، وموضعه في أول الوقت . وقد ورد في السنة ثلاث كيفيات للأذان أشهرها:

الله أكبر الله أكبر * الله أكبر الله أكبر

أشهد ألا إله إلا الله * أشهد ألا إله إلا الله

أشهد أن محمدا رسول الله * أشهد أن محمدا رسول الله

حي على الصلاة * حي على الصلاة

حي علي الفلاح * حي على الفلاح

الله أكبر الله أكبر

لا إله إلا الله

ويزاد في أذان صلاة الصبح بعد (حي على الفلاح)، الصلاة خير من النوم[3] ، ويستحب أن يقول المسلم عند سماع الأذان مثل ما يقول المؤذن ، ثم يقول بعد الأذان الحديث التالي : (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته)[4] فإن من فعل ذلك حلت له شفاعة محمد ﷺ .

الإقامة:

---

(١) ــ رواه الطبراني والحاكم والبيهقي .

(٢) ــ رواه مسلم .

(٣) ــ يسمى التثويب .

(٤) ــ رواه البخاري .

وردت في السنة ثلاث كيفيات للإقامة أشهرها :

الله أكبر * الله أكبر

أشهد ألا إله إلا الله

أشهد أن محمدا رسول الله

حي على الصلاة

حي على الفلاح

قد قامت الصلاة * قد قامت الصلاة

الله أكبر * الله أكبر

لا إله إلا الله

شروط الصلاة:

أ) ــ دخول الوقت : لقول الله تعالى : ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾[1].

ب) ــ الطهارة : في بدنه وثوبه وموضع صلاته لقولهﷺ ☹لا يقبل الله صلاة بغير طهور)[2] .

ج) ــ ستر العورة : وعورة الرجل من السرة إلى الركبة ، والمرأة كلها عــورة إلا وجههــا وكفيها ، لقول الله تعالى : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [3] .

---

(١) ــ أي مؤقتا سورة النساء ١٠٣ .

(٢) ــ رواه مسلم .

(٣) ــ سورة الأعراف ٣١ . أي عند كل صلاة ، فعن عبد الله بن عباس ــ رضي الله عنهما قال : " كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة ، فتقول: من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها ، وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية ". رواه مسلم ، وانظر لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ١٠٥ .

د) ــ استقبال القبلة : لقول الله تعالى : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [1].

هـ) ــ النية : لا بد أن ينوى المصلي الصلاة التي يريدها بقلبه ، ولا يتلفظ بالنية ، لأن ذلك بدعة محدثة ، لقوله ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى) [2] .

كيفية الصلاة:

القيام : وهو ركن من أركان الصلاة ، ويسقط عن العاجز والمتنفل ، لقوله ﷺ : (صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعدا ، فإن لم تستطع فعلى جنب) [3].

تكبيرة الإحرام : تستفتح الصلاة بتكبيرة الإحرام ، وهي ركن من أركان الصلاة لقول الرسول ﷺ : (مفتاح الصلاة الطهور ،وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم) [4] ، ويجهر الإمام بالتكبير أما المأموم فيسر ، ولا يكبر إلا بعد فراغ الإمام من تكبيره ، ويسن للمصلي أن يرفع يديه في هذا التكبير إلى حذو منكبيه ، وأحيانا يرفعهما إلى أن يحاذي بهما فروع أذنيه. ثم يضع يده اليمنى على اليسرى على صدره ، لقوله ﷺ : (إنا معشر الأنبياء أمرنا بتعجيل فطرنا، وتأخير سحورنا وأن نضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة) [5] ، وينظر إلى موضع سجوده ، ولا يلتفت ، ولا يرفع بصره إلى السماء ، فقد جاء في البخاري أن النبي ﷺ كان ينهى عن ذلك .

دعاء الاستفتاح : ثم يستفتح بدعاء الاستفتاح ، وهو من سنن الصلاة ، وقد ورد في السنة له صيغ كثيرة أشهرها : (سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك) [6] .

القراءة : ثم يستعيذ المصلي بالله من الشيطان الرجيم سرا ويقول : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

---

(١) ــ سورة البقرة ١٤٤ .

(٢) ــ رواه البخاري و مسلم .

(٣) ــ رواه البخاري .

(٤) ــ رواه أبو داود والترمذي والحاكم .

(٥) ــ رواه ابن حبان .

(٦) ــ رواه النسائي في عمل اليوم والليلة .

سرا أيضا في الصلوات الجهرية والسرية ، ثم يقرأ الفاتحة كاملة ، وهي ركن لا تصح الصلاة إلا بهـــا ، والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) [1] ، وتجب قراءة الفاتحة على المأموم أيضا ، و يسن أن يقرأ المصلى بعد الفاتحة سورة أخرى في الركعتين الأوليين ، ويســـن أن تكون القراءة في الركعة الأولى أطول من القراءة في الركعة الثانية، وتجب قراءة الفاتحة في كل ركعـــة . يجهر في صلاة الصبح، والأوليين من المغرب والعشاء . وكذلك في الجمعـــة والعيـــدين ، والاستســـقاء والخسوف ، ويقول بعد الفاتحة (آمين) لقوله ﷺ : (إذا أمن الإمام فأمنوا ، فمن وافق تأمينه تـــأمين الملائكة ، غفر له ما تقدم من ذنبه)[2] ، والسنة في القراءة أن يرتل القرآن ترتيلا.

الركوع : إذا فرغ من القراءة يسن له رفع يديه كما ورد في تكبيرة الإحرام ، ثم يكبر للركوع ، والتكبير واجب ، فيركع حتى يطمئن راكعا ، ويستقر كل عضو في مكانه، ويضع يديه على ركبتيه ، ويمد ظهره ، ولا يخفض رأسه ولا يرفعه ، والركوع ركن من أركان الصلاة، ويقـــول في ركوعـــه :(سبحان ربي العظيم) ثلاث مرات ، ولا يجوز قراءة القرآن في الركوع.

الرفع من الركوع : ثم برفع صلبه حتى يعود كل عضو إلى مكانه وهذا ركن ، قائلا: (سمع الله لمن حمده) وهو واجب ، ويسن له رفع يديه كما تقدم في تكبيرة الإحرام، ويقول بعد أن يعتدل : (ربنا ولك الحمد) ، وهو واجب على الإمام والمأموم.

السجود : ثم يقول :(الله أكبر) وجوبا ، ويخر للسجود ، وهو ركن ، يعتمد على يديه ويضم أصابعه ، ويوجهها للقبلة ، ويجب أن يرفع ذراعيه عن الأرض ، ويسجد على الأعضاء السبعة وهـــي : أنفه وجبهته ، ويديه ، وركبتيه ، وأطراف قدميه ، وينصبهما ويستقبل بأطراف أصابعه القبلة ، ويقول في سجوده وجوبا : (سبحان ربي الأعلى) ثلاث مرات ، ويستحب له الدعاء في سجوده بما يشـــاء ، ولا يجوز قراءة القرآن في السجود.

الجلسة بين السجدتين : ثم يرفع رأسه مكبرا والتكبير واجب ، ثم يجلس مطمئنا حتى يرجع كل عضو إلى موضعه وهذا ركن ، ويفترش رجله اليسرى ، وينصب رجله اليمنى ويستقبل بأصابعها القبلة

---

(١) ــ متفق عليه .

(٢) ــ رواه البخاري ومسلم .

، ويقول وهو جالس : (اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وعافني وارزقني) ، أو (رب اغفـــر لي) ، ثم يكبر ويسجد ثانية ، ويفعل كما فعل في السجدة الأولى ، والسجدتان ركن من أركان الصلاة .

الركعة الثانية : ثم يكبر وجوبا ، وينهض قائما للركعة الثانية ، ويفعل مثل ما فعـــل في الأولى ماعدا دعاء الاستفتاح ، ويجعلها أقصر من الأولى.

التشهد الأول : بعد الفراغ من الركعة الثانية ، يقعد للتشهد الأول ، وهو واجب ، مفترشـــا كما مر في الجلسة بين السجدتين ، ويضع كفيه على فخذيه ، ويسن الإشارة بسبابته ويحركها يدعو بها ، ولا يشير بيده اليسرى ، ويقرؤه سرا وصيغته : (التحيات لله، والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد ألا إلـــه إلا الله ، وأشـــهد أن محمدا عبده ورسوله) ، وفي صلاة الصبح والنوافل التي عدد ركعاتها اثنتان يكون هذا مكان التشـــهد الأخير .

الركعتان الثالثة والرابعة : ثم يكبر وجوبا ، ويسن أن يرفع يديه في هذا التكبير على الوصـــف السابق في تكبيرة الإحرام ، ثم ينهض للركعة الثالثة ، وهي ركن ، ويفعل مثل الأولين ، غير أنه لا يقرأ بعد الفاتحة سورة أخرى ، وفي صلاة المغرب يجلس بعدها للتشهد الأخير ، ويفعل في الركعة الرابعـــة في الصلوات الرباعية ما فعله في الركعة الثالثة .

التشهد الأخير : ويجلس للتشهد الأخير ، وهو ركن ، ويصنع ما صـــنعه في التشـــهد الأول ، ويجب أن يقرأ بعد التشهد الصلاة على النبي ﷺ فيقول : (اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمـــد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد) ، ثم يتلو قول الله تعالى : ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ [1] ، ثم يقول : (اللهم إني أعوذ بك من عـــذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال) ، ويسن أن يـــدعو لنفسه بما شاء .

التسليم : وهو ركن ، يسلم عن يمينه وشماله قائلا : (السلام عليكم ورحمة الله) ، وله صـــيغ

---

(١) ــ سورة البقرة ٢٠١ .

أخرى.

صلاة الجمعة:

صلاة الجمعة فرض عين على المسلم الذكر الحر البالغ المقيم لأدلة كثيرة منها :

أ – قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ [1].

ب – قوله ﷺ : (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين)[2] .

ج – قال ﷺ : (من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه) [3] ، وفي رواية : (من ترك ثلاث جمعات من غير عذر كتب من المنافقين)[4] .

وصلاة الجمعة ركعتان تتقدمهما خطبة الجمعة ، ووقتها من ارتفاع الشمس بعد طلوعها قدر ثلاثة أمتار تقريبا ، إلى طلوع وقت الظهر ، ويستحب أن يقرأ الإمام في الركعة الأولى سورة الأعلى ، وفي الركعة الثانية سورة الغاشية ، ويجهر فيهما بالقراءة .

صلاة الجنازة[5] :

حكمها :

وهي فرض كفاية على من حضر من المسلمين المكلفين عند موت المسلم .

هيئتها :

يستقبل المصلي القبلة والميت أمامه ، ثم يكبر فيقرأ الفاتحة ، ثم يكبر فيصلى على النبي ﷺ ، ثم

---

(١) ــ سورة الجمعة ٩ .

(٢) ــ رواه مسلم .

(٣) ــ رواه أحمد والحاكم .

(٤) ــ رواه الطبراني .

(٥) ــ وهي : الصلاة على الميت .

يكبر فيدعو للميت ، ومما ورد في ذلك صحيحا : (اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا) [1] ، ثم يكبر وإن شاء دعا للميت ولذويه ، ثم يسلم عن يمينه تسليمة واحدة . يفعل كل ذلك واقفا دون ركوع ولا سجود.

صلاة الاستسقاء :

حكمها :

سنة مؤكدة عند انحباس المطر.

وقتها :

من ارتفاع الشمس قدر ثلاثة أمتار تقريبا إلى زوال الشمس.

كيفيتها :

يصلي الإمام بالناس ركعتين ، يجهر فيهما بالفاتحة ، ويقرأ بعد الفاتحة سورة الأعلى في الركعة الأولى ، وفي الركعة الثانية يقرأ بالغاشية .

ثم يقوم فيخطب بالناس ، فإذا انتهت الخطبة يأمر الإمام الناس بالوقوف ، واستقبال القبلة ثم يحولوا أرديتهم ، بجعل اليمين شمالا والشمال يمينا ، ثم يدعون ربهم ويتضرعون إليه، كل واحد منهم يدعو وحده ، رافعا يديه مستقبلا القبلة.

صلاة العيدين :

حكمها :

فرض كفاية ، وقيل سنة مؤكدة.

وقتها :

من ارتفاع الشمس قدر ثلاثة أمتار تقريبا إلى زوال الشمس.

آدابها :

---

(١) ــ رواه الترمذي .

الاغتسال – التعطر – لبس الثياب الحسنة – التكبير – كثرة الذكر.

كيفيتها :

وهي ركعتان بعدهما خطبة ، في الركعة الأولى يكبر الإمام ست تكبيرات جهرا بعد تكبيرة الإحرام ، ثم يقرأ الفاتحة ، وسورة بعدها ، يستحب أن تكون سورة الأعلى ، وفي الثانية يكبر خمس تكبيرات جهرا بعد تكبيرة الانتقال ، ثم يقرأ الفاتحة ، وسورة بعدها ، يستحب أن تكون سورة الغاشية ، ويجهر فيهما بالقراءة .

الدرس الثاني عشر

الزكاة

مكانة الزكاة في الإسلام:

الزكاة ركن من أركان الإسلام ، كما قال الرسول ﷺ في الحديث المشهور : (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج البيت) [1] .

وتجب على كل مسلم ملك النصاب ، سواء كان ذكرا أو أنثى ، صغيرا أو كبيرا، وقد قرنت الصلاة في القرآن بالزكاة في مواضع كثيرة ، منها قوله تعالى: ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ [2] ، وقد حارب أبو بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ من امتنع من العرب عن أداء الزكاة ، وأجمع الصحابة على ذلك.

حكم مانع الزكاة:

أجمع المسلمون على أن مانع الزكاة جاحدا لوجوبها ومنكرا لفرضيتها كافر يخرج من ملة الإسلام ، ويعامل معاملة المرتد ، فيستتاب ثلاثة أيام ، فإن تاب وإلا قتل. أما من منع الزكاة ولكنه مقر بوجوبها فيجب على إمام المسلمين أخذها منه بالقوة، فإن لم يستطع إلا بقتاله قاتله ،كما فعل أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ بمن منع الزكاة من العرب بعد وفاة رسول الله ﷺ .

وقد توعد الله ــ تبارك وتعالى ــ تارك الزكاة بالنار ، فقال : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾[3] .

مصارف الزكاة:

---

(١) ــ متفق عليه .

(٢) ــ سورة التوبة ١٠٣ .

(٣) ــ سورة التوبة ٣٤ - ٣٥ .

قال الله تعالى مبينا الأصناف الذين تصرف لهم الزكاة : ﴿ إنما الصدقات للفقـــراء والمســـاكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾[1].

وهؤلاء الأصناف هم :

١ــ الفقير : وهو من لم يجد من المال شيئا ، ولا كسب له.

٢ــ المسكين : وهو من وجد بعض الكفاية ، أو كان له مال أو كسب لا يكفيه.

٣ــ العاملون عليها : وهم السعاة الذين يرسلهم الإمام لجمع الزكاة.

٤ــ المؤلفة قلوبهم : وهم الرؤساء المطاعون في قومهم ، يعطون منها ترغيبا لهم ، أو لقومهم في الإسلام.

٥ــ الرقاب : وهم الأرقاء المكاتبون .

٦ــ الغارمون : وهم المدينون الذين تحملوا ديونا لا يستطيعون الوفاء بها .

٧ــ في سبيل الله : وهم المجاهدون الذين ليس لهم مرتبات يقبضونها من بيت المال.

٨ــ ابن السبيل : وهو المسافر المنقطع الذي ليس معه مال يستعين به حتى يعود إلى أهله ، ولـــو كان غنيا في بلده .

الشروط الموجبة للزكاة:

١ــ وجود النصاب من العين المزكاة.

٢ــ أن يحول عليها الحول ، في غير زكاة الحبوب والثمار فإن زكاتها يوم حصادها ، لقول الله تعالى : ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ [2].

الأصناف التي تجب فيها الزكاة:

---

(١) ــ سورة التوبة ٦٠ .

(٢) ــ سورة الأنعام ١٤١ .

ليس كل مال تجب فيه الزكاة المحددة ، وإنما تجب تلك الزكاة في أصناف معينة متى تحققت شروط وجوب الزكاة فيها ، ولكن من المسنون للمسلم أن يتصدق من ماله الذي لا تجب فيه الزكاة صدقة مطلقة غير محددة المقدار ، قال تعالى : ﴿ والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم ﴾ [1] ، وهذه هي الزكاة المحددة المقدار ، وقال عن الصدقة المطلقة :﴿ وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ [2] ، أما الأصناف التي تجب فيها الزكاة ، فهي :

١ــ الذهب والفضة: ويلحق بها النقود التي يتعامل بها الناس من الورق وغيره .

٢ــ عروض التجارة : وهي السلع المعدة للبيع .

٣ــ الحبوب والثمار: كالقمح والشعير والتمر والزبيب .

٤ــ الخارج من الأرض : وهي المعادن من غير الذهب والفضة .

٥ــ السائمة من بهيمة الأنعام: وهي الإبل والبقر والغنم التي ترعى الحول أو أكثره بلا كلفة على مالكها ، بل ترعى من الأعشاب التي ترويها مياه السيول والأمطار والنهار ، التي لم يتدخل في زراعتها الناس .

---

(١) ــ سورة المعارج ٢٤ ــ ٢٥ .

(٢) ــ سورة الذاريات ١٩ ،

الدرس الثالث عشر

الصوم

مكانة الصيام في الإسلام :

الصيام أحد أركان الإسلام الخمسة ، من أنكر وجوبه فقد خرج من ملة الإسلام، ووقت الصيام المفروض هو شهر رمضان المبارك ، قال تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ [1] .

معنى الصوم :

الصيام هو : الإمساك عن المفطرات بنية الصوم ، من طلوع الفجر إلى مغيب الشمس .

فضل الصيام :

قال النبي ﷺ : (من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)[2] ، وقال ﷺ : إن للجنة بابا يقال له الريان ، يقول يوم القيامة : أين الصائمون ؟ فإذا دخل آخرهم أغلق) [3].

أحكام الصيام:

١ــ **إحصاء عدة شعبان** : أوجب الإسلام الصيام بعد رؤية هلال رمضان ، فمتى رأى الناس الهلال صاموا ، وإلا وجب عليهم أن يحصوا عدة شعبان ثلاثين يوما ، لأن الرسول ﷺ يقول :(صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين) [4] .

ولا يجوز صيام آخر يوم من شعبان ، بقصد الاحتياط لرمضان ، وهو ما يسمى بيوم الشك ،

---

(١) ــ سورة البقرة ١٨٥ .

(٢) ــ رواه أحمد واصحاب السنن .

(٣) ــ متفق عليه .

(٤) ــ رواه البخاري ومسلم .

لقوله ﷺ : (لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين إلا رجلا يصوم صوما فليصمه) [١].

وتثبت رؤية الهلال للصيام وللفطر بشهادة عدلين مسلمين لقوله ﷺ : (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن شهد شاهدان فصوموا وأفطروا)[٢].

٢ــ **النية** : يجب على كل مسلم مكلف أن ينوي صيام رمضان من الليل ، لقول النبي ﷺ : (من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له)[٣].

٣ــ **السحور**: يسن للمسلم الذي ينوي الصيام أن يتسحر في آخر الليل لقوله ﷺ : (تسحروا فإن في السحور بركة)[٤] .

٤ــ **الإفطار**: قال الله تعالى : ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾[٥] ، فمتى غربت الشمس حان وقت إفطار الصائم ، ولا يجوز قبل مغيب الشمس ، والسنة تعجيل الفطور وتأخير السحور لقوله ﷺ : (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر) [٦].

مفطرات الصوم:

١ــ الأكل والشرب عمدا.

٢ــ الجماع في نهار رمضان ، ويجب على من فعله صيام شهرين متتابعين ، وقضاء اليوم الذي جامع فيه.

٣ــ تعمد القيء لقوله ﷺ : (من استقاء فليقض)[٧] .

---

(١) ــ متفق عليه ، ومعنى الحديث أي : من كان له عادة أن يصوم يوما ويفطر يوما ، أو كان من عادته صيام يوم الإثنين والخميس ، فصادف ذلك اليوم آخر يوم من شعبان.

(٢) ــ رواه أحمد.

(٣) ــ رواه النسائي .

(٤) ــ متفق عليه .

(٥) ــ سورة البقرة ١٨٧ .

(٦) ــ رواه البخاري ومسلم .

(٧) ــ رواه الأربعة .

٤ــ الحيض والنفاس ، وإذا طهرت الحائض والنفساء فعليها القضاء.

من يجوز لهم الفطر:

١ــ المريض.

٢ــ المسافر.

٣ــ الحامل والمرضع ، ويقضون بدله يوما آخر.

٤ــ الشيخ الفاني : ويطعم عن كل يوم مسكينا إن كان قادرا على الصوم ولو بمشقة، أما إن كان عاجزا عن الصوم مطلقا فلا شيء عليه ، لأن شرط الوجوب الاستطاعة.

أحكام متعلقة بالصيام:

يجب على الصائم تجنب اللغو وقول الزور لقوله ﷺ: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) [١].

ويسن للمسلم قراءة القرآن في رمضان والإكثار من ذلك .ويسن له كذلك كثرة الصدقة لأن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك، كما يسن له تحري ليلة القدر ويسن له صلاة القيام ، كما يسن للرجال الاعتكاف في المساجد.

زكاة الفطر:

حكمها ومقدارها : وهي فرض على الصغير والكبير ، والذكر والأنثى ، الحر والعبد، والدليل قول ابن عمر رضي الله عنهما : (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعا من تمر ، أو صاعا من شعير ، على العبد والحر ، والذكر والأنثى، والصغير والكبير ، من المسلمين) [٢] .

وقتها ومصارفها : تؤدى قبل خروج الناس إلى صلاة العيد ، وهو أفضل أوقاتها ، ويجوز تقديم إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين ، وتعطى زكاة الفطر لمن تحق لهم الزكاة .

---

(١) ــ رواه البخاري .

(٢) ــ رواه الجماعة .

الدرس الرابع عشر

الحج والعمرة

مكانة الحج في الإسلام :

الحج ركن من أركان الإسلام لا يتم إسلام المرء حتى يؤديه ، ومن أنكر وجوبه فقد خرج من ملة الإسلام ، ويجب الحج مرة واحدة في العمر على المسلم المكلف القادر على الحج ، وقد ورد عن النبي ﷺ في فضل الحج قوله : (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)[1].

المواقيت:

هناك أماكن ينبغي على من أراد الحج والعمرة ن أن يحرم إذا مر بها في أشهر الحج[2] ، وتسمى المواقيت ، وهي :

١ــ ذو الحليفة : لمن قدم من جهة المدينة.

٢ــ الجحفة[3] : لمن قدم من الشام ومصر .

٣ــ قرن المنازل : ويسمى الآن السيل الكبير لمن قدم من وسط الجزيرة العربية (نجد).

٤ــ يلملم : لمن جاء من جنوب الجزيرة (اليمن).

٥ــ ذات عرق : لمن جاء من شمال شرق الجزيرة (العراق) .

وهذه المواقيت يجب على من نوى الحج والعمرة أن يحرم إذا مر بها ولو كان من غير أهلها. ومن كان مقيما داخل هذه المواقيت أحرم من مكانه ، وأهل مكة يحرمون منها.

الإحرام:

---

(١) ــ رواه أحمد.

(٢)ــ أشهر الحج هي : شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة .

(٣) ــ وهي قرية قرب رابغ ، إلى الشمال من جدة .

إذا جاء الحاج الميقات وجب عليه أن يحرم ، لابسا الإزار والرداء ، بعد أن يغتسل ويتطهر ، ويتجنب محظورات الإحرام ، ثم يشرع في النسك قائلا : (لبيك اللهم عمرة) للمعتمر والمتمتع ، أو (لبيك اللهم حجا) للمفرد ، أو (لبيك اللهم حجا وعمرة) للقارن ، ويسن للمحرم الاشتغال بالتلبية والذكر حتى يأتي مكة .

محظورات الإحرام:

أ ــ لبس المخيط : وهو حكم خاص بالرجال .

ب ــ الأخذ من الشعر أو الأظفار.

ج ــ قتل الصيد[1] أو الإعانة على قتله .

د ــ مباشرة النساء ، والجماع ومقدماته .

هـ ــ لبس القفازين والنقاب للمرأة.

و ــ تغطية الرأس : وهو حكم خاص بالرجال .

دخول مكة:

يسن له الاغتسال قبل دخول مكة لأن الرسول ﷺ فعله ، ثم يتجه للمسجد الحرام، فيدخله مقدما رجله اليمنى ، ويقول : (اللهم صل على محمد ، اللهم افتح لي أبواب رحمتك).

طواف القدوم:

ثم يبادر إلى الحجر الأسود ، فيستقبله ، ثم يكبر ، وله أن يستلمه بيده ، أو يقبله بفمه لأن الرسول ﷺ فعل كل ذلك ، فإن لم يقدر أشار إليه ، وليس من السنة التزاحم على الحجر الأسود.

ثم يبدأ بالطواف حول الكعبة ، يجعلها عن يساره ، ويطوف حول الكعبة من وراء الحجر سبعة أشواط ، (والشوط هو الطواف من الحجر الأسود حتى يعود إليه).

---

(١) ــ وهو : الحيوان البري الحلال.

ويسن له الاضطباع في أشواط الطواف كلها و والاضطباع هو : أن يدخل الرداء من تحت إبطه الأيمن ، ويجعل طرفيه على يساره ، ويبدي منكبه الأيمن ، ويستر الأيسر ، ولا يسن الاضطباع إلا في هذا الموقف.

يسن له الرمل في الأشواط الثلاثة الأولى ، و الرمل هو : جري خفيف ، ويسن له كذلك أن يستلم الركن اليماني بيده كلما حاذاه ، و لكن لا يقبله ولا يشير إليه ، و يسن له بين الركن اليماني والحجر الأسود أن يتلو قول الله تعالى : ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ [1].

وليس للطواف ذكر خاص ، فله أن يقرأ من القرآن والذكر ما شاء.

فإذا انتهى من الشوط السابع غطى كتفيه ، ثم ذهب إلى مقام إبراهيم إن أمكنه ذلك، وجعل المقام بينه وبين الكعبة ، وصلى خلفه ركعتين، يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة : (قل يا أيها الكافرون) وفي الركعة الثانية : (قل هو الله أحد) لورود ذلك عن النبي ﷺ و يسن له بعد ذلك أن يذهب إلى زمزم فيشرب منها.

السعي بين الصفا والمروة:

ثم يذهب بعد ذلك للصفا ، ويقرأ قوله تعالى : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم ﴾[2].

ثم يرتقي الصفا حتى يرى الكعبة ، فيستقبلها ، ثم يقول : (الله أكبر) ثلاثا (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير)، (لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده) ، يكررها ثلاثا ويدعو بعدها بما شاء.

ثم ينزل فيمشي إلى العلم[3] فإذا وصله جرى جريا شديدا إلى العلم الآخر إن أمكنه ذلك ، ثم يمشي بعد ذلك إلى المروة ، فيفعل عندها مثل ما فعل عند الصفا، ثم يعود إلى الصفا ، يفعل ذلك سبع

---

(١) ــ سورة البقرة ٢٠١ .

(٢) ــ سورة البقرة ١٥٨ .

(٣) ــ وهو الميل الأخضر .

مرات ، من الصفا إلى المروة شوط واحد ، ومن المروة إلى الصفا شوط ثان.

التحلل من العمرة :

إذا انتهى من السعي فإنه يتحلل من عمرته ، وذلك بقص شعر رأسه أو تقصيره ، وبذلك تنتهي العمرة ، ويمكث حلالا إلى يوم التروية[1] وهو بداية الحج.

الإهلال بالحج يوم التروية :

إذا كان يوم التروية ؛ أهل بالحج وأحرم من موضعه الذي هو فيه ، ويلبي بالحج ، ثم يذهب إلى منى ، فيصلي بها الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، وفجر عرفة ، يقصر الرباعية دون جمع .

الانطلاق إلى عرفة:

إذا طلعت شمس يوم عرفة ، وهو اليوم التاسع من ذي الحجة ، انطلق إلى عرفة ، يلبي ويهلل ويكبر ، فيصلي بها الظهر والعصر جمعا وقصرا ، في منزله بعرفة أو مع الإمام الذي يخطب بالناس في ذلك الموضع ، وعرفة كلها موقف ، إلا بطن عرنة [2] .

يقف الحاج مستقبلا القبلة ، رافعا يديه يدعو ويلبي ، ويكثر من التهليل ، فإنه خير الدعاء يوم عرفة ، لقول الرسول ﷺ : (أفضل ما قلت أنا والنبيون عشية عرفة ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) [3].

و لا يسن للحاج أن يصوم يوم عرفة ، والوقوف بعرفة هو ركن الحج الأكبر ، لأن النبي ﷺ قال : (الحج عرفة)[4] . و يبقى الحاج هكذا ذاكر وملبيا وداعيا بما شاء حتى تغرب الشمس.

الإفاضة إلى المزدلفة :

إذا غربت الشمس أفاض إلى المزدلفة . فإذا وصلها أذن وأقام ، فصلى المغرب ثلاثا، ثم أقام

---

(١) ــ هو اليوم الثامن من ذي الحجة .

(٢) ــ هو الوادي الذي يلي مكة.

(٣) ــ رواه الطبراني .

(٤) ــ رواه أحمد .

فصلى العشاء قصرا . ثم ينام إلى الفجر من يوم النحر ، وهذا هو المبيت في مزدلفة ، ويجوز للضعفاء والنساء أن ينطلقوا من مزدلفة بعد منتصف الليل ، فإذا حان وقت الفجر صلى مبكرا ، ثم قصدالمشعر الحرام ، ودعاء عنده مستقبلا القبلة ، لقول الله تعالى : ﴿ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين ﴾ [1] . ثم إذا أسفر جدا و قبل طلوع الشمس انطلق إلى منى وهو يلبي ، فإذا أتى بطن وادي محسر أسرع إن أمكنه ذلك.

الرمـــــي :

يذهب إلى الجمرة الكبرى ، التي تسمى جمرة العقبة ، وهي آخر الجمرات ، وأقربهن إلى مكة ، ثم يلتقط الحصيات ، فيرمي الجمرة بسبع حصيات صغار ، يكبر مع كل حصاة ، ولا يرمي الجمرة إلا بعد طلوع الشمس ، وله أن يرميها بعد الزوال ولو إلى الليل .

التحلل الأول :

إذا رمى الجمرة يوم النحر حل له كل شيء إلا النساء ، وهو ما يسمى بالتحلل الأول .

الذبح والنحر:

ثم يأتي المنحر فينحر هديه ومنى كلها منحر وكذلك مكة كلها منحر لثبوت ذلك عن النبي ﷺ . ووقت النحر أربعة أيام من أيام منى ، هي يوم العيد وثلاثة أيام بعده وهي أيام التشريق .

و يسن له أن يأكل من هديه ، ويهدي منه ويتصدق ، و من لم يجد الهدي فيصوم ثلاثة أيام في الحج ، وسبعة إذا رجع لأهله ، لقوله تعالى : ﴿ فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ﴾ [2] .

الحلق والتقصير :

ثم يحلق شعر رأسه أو يقصره والأفضل الحلق . لأن الرسول ﷺ ترحم على المحلقين ثلاثا ،

---

(١) ــ سورة البقرة ١٩٨ .

(٢) ــ سورة البقرة ١٩٦ .

وترحم على المقصرين مرة واحدة ، و الحلق خاص بالرجال ، أما النساء فعليهن التقصير ، فتقص المـــرأة قيد أنملة من ضفيرتها.

طواف الإفاضة:

ثم يذهب إلى البيت الحرام ، فيطوف بالبيت سبعة أشواط ،كما فعل في طواف القدوم إلا أنه لا يضطبع ولا يرمل.

ثم يصلي عند المقام ركعتين كما تقدم ، ويسعى بين الصفا والمروة كما تقدم ، ويشرب مـــن زمزم ، ثم يحل له بعد ذلك كل شيء حرم عليه ، وهذا هو التحلل الأكبر.

المبيت في منى:

يجب على الحاج أن يبيت في منى ليالي أيام التشريق ، ويجب عليه كل يوم أن يرمي الجمـــرات الثلاث ، بعد الزوال ،كل واحدة بسبع حصيات كما تقدم في رمي جمرة العقبة.

يبدأ في الرمي بالجمرة الأولى ، التي تلي منى ، ثم يتقدم قليلا ، فيستقبل القبلة ويدعو، ثم يذهب للوسطى ، فيفعل مثل ما فعل عند الأولى ، ثم يأتي جمرة العقبة ، فيرميها ولكن لا يقف بعدها ولا يدعو ، ويفعل في اليوم الثاني والثالث مثل ما فعل في اليوم الأول.

و يجوز له الانصراف بعد رمي اليوم الثاني من أيام التشريق لقوله تعالى : ﴿ واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون ﴾ [1].

السنة ترتيب المناسك كما سبق (الرمي ـــ فالذبح ـــ فالحلق ـــ فطواف الإفاضة والســـعي) ولكن إن قدم شيئا منها على آخر جاز له ذلك ، لأن النبي ﷺ حين سئل عن ذلك قال : (لا حرج لا حرج) [2].

طواف الوداع:

---

(١) ـــ سورة البقرة ٢٠٣ .

(٢) ـــ رواه مسلم .

إذا انتهى من الرمي ، ذهب إلى مكة فيمكث ما شاء أن يمكث ، ثم إذا أراد الانصـــــراف إلى أهله ، فعليه أن يطوف بالبيت لأن الرسول ﷺ قال :(لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده الطــواف بالبيت) [1].

ولكن الحائض والنفساء التي طافت طواف الإفاضة ، يجوز لها أن تعود إلى بلادها دون طواف الوداع.

فإذا انتهى الحاج من طواف الوداع ، خرج من المسجد ، وقدم رجله اليسرى ، و هو يــقول : (اللهم صل على محمد وسلم ، اللهم إني أسألك من فضلك) ، ثم يعود إلى أهله .

****

(١) ــ رواه مسلم .